الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

مطبوعة بيداغوجية في مقياس :

المنهـــــــج التـــربوي عند المسلمين

موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر عقيدة وفق المقرر الوزاري

إعداد الدّكتور:

قول معمر

السنة الجامعية: 1442 / 1443 هـ

2021 / 2022

بطاقة عن المقياس وفق المقرر الوزاري

عنوان الماستر: العقيدة الإسلامية

اسم المقياس: المنهج التربوي عند المسلمين

السنة والتخصص: 02 ماستر عقيدة

السداسي : 03

الرصيد: 02

المعامل: 01

اسم الوحدة: المنهجية

المقرر الوزاري

محتوى المادة:

الفصل الأول: مدخل منهجي:

1- مفهوم الفكر التربوي

2- الأصول المرجعية للفكر التربوي عند المسلمين

3- الفكر التربوي عند المسلمين نشأته وتطوره

4- مؤسسات التربية في الحضارة الإسلامية

الفصل الثاني: أعلام الفكر التربوي عند المسلمين

1- المتقدمون

محمد بن سحنون– ابن مسكويه– ابن سينا –أبو حامد الغزالي – عبد الرحمان بن خلدون.

2-المعاصرون

– محمد عبده – عبد الحميد بن باديس- حسن البنا- الطاهر بن عاشور- بديع الزمان النورسي.

خاتمة:

متضمنة لخصائص الفكر التربوي عند المسلمين.

مقدمة:

يسعدني أن أتوجّه إلى طلبتنا الكرام بجامعة الوادي في مرحلة الماستر، تخصص العقيدة الإسلامية، السداسي الثالث بهاته المطبوعة البيداغوجية في مقياس المنهج التربوي عند المسلمين، وهي مُعدّة وفق المقرر الوزاري للمقياس، ومقياس المنهج التربوي لطلبة مرحلة الماستر مقياس منهجي يهدف أساسا إلى وقوف طالب العقيدة على أهم جهود علماء الإسلام في صياغة منهج تربوي يستمد أصوله المعرفية من المرجعية الدينية، ممثلة في الإسلام بمنظوماته الثلاث، المنظومة التشريعية(الإسلام)، المنظومة العقدية (الإيمان)، المنظومة الأخلاقية التربوي(الإحسان)، وهذه المنظومات كلّها تهدف إلى بناء الإنسان بناء منهجيا وفق مقصد الوحي ترشيحا له للوظيفة التي خلق من أجلها، وهي الاستخلاف والعبودية لله عزوجل، لذا كان إعداد الإنسان تربويا متوقف على استثمار كل أبعاده التي خلق مزودا بها، وهي إحالة منهجية على ضرورة الاستفادة من مختلف الخبرات والتجارب والعلوم التي سعت إلى تقريب عالم الإنسان، بما في ذلك علم النفس والاجتماع ومختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية.

ويحسن بنا ابتداء أن نطرح سؤالا مركزيا مفاده: ما أهمية الحديث عن الفكر التربوي الإسلامي؟ وهو سؤال يفرضه الراهن الذي يحياه العالم الإسلامي، فباستقراء واقعنا الإسلامي نجد مجموعة من التحديات تفرض علينا العودة إلى الذات والبحث عن ذواتنا في مرجعيتنا الدينية الإسلامية، ومن أبرز هذه التحديات نذكر:

1- التبعية الغربية التي نعيشها في مختلف المجالات المعرفية (المناهج) والاقتصادية (الاستهلاك بكل أنواعه – الأدوية لقاح كوفيد نموذجا) والتبعية السياسية المتمثلة في عدم استقلالية القرارات السياسية وسيطرة الدول العُظمى على مشهد العالم اليوم.

2- الأمراض النفسية التي يحياها المسلم كالوهن والشعور بالدونية والجبن والخوف والشعور بالنقص أمام كل ما هو غربي.

3- التدابر والاختلاف والتشرذم بسبب التعصب والطائفية وعدم استيعاب بعضنا البعض رغم أن ما يوحدنا أكثر مما يفرقنا.

4- إهمال تعاليم الوحي التي تدعو إلى التدبر وطلب العلم واكتشاف آفاق النفس والكون من أجل تسخير القوانين وتوظيف ما في الكون من نعم لا تُحصى في سبيل إحياء الإنسان ونشر المحبة والسلام ونور الإسلام.

5- العولمة الزاحفة التي جعلت العالم بأسره قرية واحدة، وهي موجة هددت الثوابت والقيم والأصول وأدت إلى ذوبان هويتنا في الآخر مما أفقدنا التميّز والميزة.

هذه بعض التحديات التي تجعلنا مولَعين باتباع الغالب (الغرب) والتسليم بأن كل ما أنتجه الغرب في الفكر يتناغم مع هويتنا ومرجعيتنا الدينية الإسلامية، وتدفعنا إلى العودة إلى الذات والبحث عن مكامن الجمال فيها وتدبر الوحي (الكتاب والسنة) بما يتوافق ويتناغم مع متطلبات العصر وقضاياه المستجدة حتى يُمكننا أن نؤسس لمنهج تربوي إسلامي أصيل يتغذّى من الوحي (الثابت)، ويستنير بعلوم العصر ومُستجداته (المتغيّر)، وهو ما يحقق لنا رؤية تربوية نستطيع من خلالها إعداد الناشئة (الأجيال) إعدادا يجعلنا نتميّز بهويتنا ونفتخر بمرجعيتنا مع الجمع بين عالمي الغيب والشهادة والتحكم المطلق في علوم الكون والمادة، إعمارا للأرض وإنهاء للتذلل والتسول والمسكنة، وهو سعي لتحقيق الخلافة التي رشحنا الله عزّ وجل له.

وفي الأخير نأمل أن يجد طلبتنا الكرام في تخصص العقيدة وغيرها من التخصصات المشتركة في هذا العمل المعالم البارزة للفكر التربوي في الإسلام، من خلال تعرّفهم على أعلام الفكر التربوي في الإسلام والوقوف على أبرز إنجازاتهم ورؤاهم ومناهجهم التي ارتضوها في سبيل إعداد الناشئة وتدبير أحوال الإنسان، ونأمل أن يكون هذا العمل باعثا لهمم طلبتنا الكرام للعناية بأعلام الفكر التربوي في الإسلام وإعداد بحوث ومذكرات تخرج تبرز قيمة هاته الجهود، وهي دعوة ضمنية أيضا للقائمين على الشأن التربوي إلى ضرورة استثمار هاته الجهود استعادة للإنسان المستلب واستعادة لوظيفته وغايته، بناء لمجتمعاتنا وأوطاننا وأمتنا. /**د. قول معمر .معهد العلوم الإسلامية جامعة الوادي**

المبحث الأول: مدخل منهجي:

سنتناول في هذا المبحث المصطلحات المركزية الرئيسة التي تشكّل حدود ومعالم المقياس، وهي: (الفكر- التربية – المنهج التربوي عند المسلمين).

1- مفهوم الفكر التربوي:

يُعتبر هذا الاطلاق مركبا من صفة وموصوف، فهو حديث عن الفكر المتعلق بالجانب التربوي، ويجدر بنا ابتداء أن نعرف بالصفة وموصوفها (الفكر + التربوي)، ثم نعرف المصطلح (الفكر التربوي)، فما المراد بكل منها؟

1.1- مفهوم الفكر:

جاء في لسان العرب الفكر إعمال الخاطر في الشيء. والمعنى اللغوي ينصرف إلى حضور الفكرة في القلب والخاطر فتشغّل بال صاحبها.[1]

وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا الفكر في الفرنسية penseé، وفي الانجليزية thought نوفي اللاتينية cogitatio، ويُطلق الفكر على إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، ويُطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية، وهو مرادف للنظر العقلي.[2]

وعلى هذا المعنى ينصرف الفكر إلى التدبّر والتأمل والنظر في الأشياء ومحاولة تفسير ما يربطها أو الوصول إلى العلاقة بينها، فالفكر جهد عقلي وخصيصة للإنسان العاقل.

وفي التعريفات للجرجاني هو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول.[3]

وعلى هذا المعنى ينصرف الفكر إلى العملية الذهنية في توظيف المعلوم للوصول به إلى مجهول

---

[1] لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، ط 03، 1414 هـ، ج 05، ص 65 بتصرف.

[2] انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني + مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط 1982، ج 02، ص 154.

[3] التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1983، ص 168.

وفي الإشارات والتنبيهات لابن سينا الفكر هو أن ينتقل الإنسان عن أمور حاضرة في ذهنه متصورة أو مصدق بها تصديقا عِلميا أو ظنيا أو وضعا وتسليما إلى أمور غير حاضرة فيه، وهذا الانتقال لا يخلو من ترتيب.[1]

وعلى هذا المعنى ينصرف الفكر إلى استثمار المقدمات والبديهيات والمعارف المسبقة إلى طلب ما هو مجهول.

ويرى ديكارت أن الفكر هو الشيء الذي يُشَكّ ويفهم ويدرك ويثبت ويتخيل ويحس، وعليه فالفكر عند ديكارت ملكة في النفس وجوهر يتحقق به الفهم والإرادة.

ويرى أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين أن الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة[2]، وتعريف أبي حامد الغزالي هنا منصرف إلى أحد وظائف العقل الذهنية وهي التحليل والاستنتاج من خلال المقارنة بين قضيتين، والمعرفة الثالثة هي ما نستنتجه.

2.1- مفهوم التربية :

- التربية لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور أن التربية تطلق على التغذية كما تطلق على الترشيح أيضا وهي التهيئة للشيء. ورشح للأمر: رُبّي له وأُهّل ومن معاني الرب التربية، فقد كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم.[3]

- التربية اصطلاحا:

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا أن التربية تكتب في الفرنسية education وفي الانجليزية education,culture، وفي اللاتينية education.

وتُطلق التربية في الاصطلاح بمفاهيم متقاربة منها:

---

[1] الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، بدون تاريخ، ص 119.

[2] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج 04، ص 425.

[3] لسان العرب، مرجع سابق، ج 01، ص 711.

- تبليغ الشيء إلى كماله.

- تنمية الوظائف النفسية بالتمرين، كقولنا ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئته، ومن شروطها تنمية شخص الطفل من الناحية النفسية والجسمية والخُلقيّة حتى يكون قادرا على التكيف مع محيطه ويسعى لإسعاد نفسه وإسعاد غيره.[1]

- وفي الموسوعة الفلسفية لأندريه لالاند التربية هي مسار يقوم على تطور وظيفة أو عدّة وظائف تطورا تدريجيا بالدُربة (التدريب) ووعلى تجويدها وإتقانها.[2]

وهذا المعنى الذي أشار إليه لالاند نجده عند أبي حامد الغزالي في كتابه ميزان العمل في باب بيان إمكانية تغير الخُلق، فيقول في سياق الرد على الذين يقولون بعدم إمكانية تغيير الخُلق مستدلين بحديث النبي ﷺ « فرغ الله من الخلق »[3] .

يقول أبو حامد الغزالي: "لقد ظنّ بعض المائلين إلى البطالة أن الخُلُق كالخَلْق، لا يقبل التغيير. والتفت إلى قوله عليه السلام: « فرغ الله من الخلق »، وظن أن المطمع في تغيير الخُلُق، طمع في تغيير خَلْق الله عز وجل، وذهل عن قوله عليه السلام: « حسّنوا أخلاقكم »[4].

---

[1] المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ج 01، ص 266.

[2] موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 02، 2001، ص 322.

[3] جزء من حديث رواه أحمد عن أبي هريرة، أوله: «لَمَّا فرغ الله من الخلق، كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي». أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، رقم: 10014. انظر: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 01، 2001، ج 16، ص 70،

[4] أخرجه أَبُو بكر بن لال فِي مَكَارِم الْأَخْلَاق من حَدِيث معَاذ «يَا معَاذ حسن خلقك للنَّاس» مُنْقَطع وَرِجَاله ثِقَات. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط 01، 2005، ج 01، ص 937.

وإن ذلك لو لم يكن ممكناً لما أمر به، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب كيف يُنْكَر تهذيبُ الإنسان مع استيلاء عقله، وتغيير خُلُق البهائم ممكن، إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى التأنس، والكلب من الأكل إلى التأدب، والفرس من الجماح إلى السلاسة، وكل ذلك تغيير خُلُق."[1]

وعلى هذا الأساس تُعنى التربية بتغيير أخلاق الناشئة بغرس الفضائل ومكارم الأخلاق وتغيير العوائد بالدّربة والتدرّج، ولما كان هذا ظاهر في الحيوان فهو في الإنسان العاقل أشدّ ظهورا.

3.1- مفهوم الفكر التربوي:

تختلف مفهوم النظرية التربوية من حضارة لأخرى لاختلاف المرجعيات المعرفية والدينية والسياقات الاجتماعية والأعراف والبيئات، فلكل حضارة مفهومها الخاص للنظرية التربوية، وقد عرف مفهوم التربية تطورا واختلافا عبر الأزمنة نذكر منها:

- اليونان: التربية عندهم هي تحديد صورة المواطن الصالح وعلاقته بالدولة.

- العصور الوسطى المسيحية: التربية عندهم هي غرس الإيمان بفكرة الخلاص للنجاة من شرور الدنيا والآخرة.

- عصر النهضة الأوروبية: التربية هي إعداد الفرد للاستمتاع بالحياة واستغلال البيئة المحيطة.

- العصر الحديث (الغرب): التربية عندهم هي السعي لرفع مُستوى المعيشة ونشر الأفكار والإنسانية، أي التربية كمضمون اقتصادي وصناعي وتنموي.[2]

تعكس هذه التعاريف المرجعية الدينية (المسيحية) التي تُغذّي هذه الرؤى، مما يجعلها صالحة في بيئتها ولأهلها، كما أنها تحمل مضمونا نفعيا وفيها تكريس للشخصانية والفردانية لذا علينا أن نربط

---

[1] ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 01، 1964، ص 247.

[2] انظر هذه المفاهيم في: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير + مكتبة دار التراث، دمشق + بيروت، ط 02، 1985، ص 19 بتصرف.

مفهوم الفكر التربوي بمرجعيته الإسلامية التي تتغذى معرفيا من نصوص الوحي وتعاليم الإسلام، فما مفهوم الفكر التربوي عند المختصين في شأنه من علماء الإسلام ؟

– يُعرف ماجد عرسان الكيلاني التربية في كتابه تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية بأنها:

"الصورة التي يرغب المجتمع القائم لأطفاله وناشئته أن يقيموا مجتمع المستقبل عليها والسعادة التي يتمتعون بها والأساليب التي تُستعمل في إعداد الجيل الناشىء ليكونوا أعضاء فعّالين في مجتمعهم الذي ينتمون إليه."[1]

وهذا التعريف يستحضر المعطى الاجتماعي، فالإنسان ابن بيئته ومدني بطبعه كما يحمل التعريف مضمونا قيميا وأخلاقيا، وهو ما يدلّ عليه مصطلح السعادة، ومصطلح الفعالية وهي الإسهام في بناء الذوات لتكون هي الأخرى يدا لبناء المجتمع والدولة.

4.1– مفهوم المنهج التربوي:

يُطلق المنهج في اللغة على الطريق الواضح البيّن لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:48)، أما المنهج التربوي في الاصطلاح فهو: "خطة لمرحلة دراسية في بيئة مدرسية معينة، أو لمجموعة المراحل المدرسية، التي تبلغ الناشئين المستوى التربوي والسلوكي والفكري المطلوب، ليصبحوا أعضاء نافعين صالحين في أمتهم ومجتمعهم، عاملين على النهوض بمستوى أمتهم، وتحقيق مثلها العليا."[2]

والملفت للانتباه في هذا التعريف أن التربية مشروع متكامل وليس جهدا فرديا وهو ما يدلّ عليه مُصطلح (مؤسسة تربوية)، وقد تكون هاته المؤسسة أسرة أو مجتمعا أو مدرسة تعليمية أو جامعة أو روضة من رياض الأطفال، إضافة إلى كون هذا المشروع التربوي قائم على أصول ومبادئ نظرية، وهذا

---

[1] تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير + مكتبة دار التراث، دمشق + بيروت، ط 02، 1985، ص 20.

[2] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط 25، 2007، ص 157.

ما يعني أنه عملية اجتهادية وجهد حاول أصحابه صياغته بمراعاة مختلف السياقات (النفسية – الاجتماعية – المعرفية – الاقتصادية – السياسية) ليكون أرضية تربوية وتُربة صالحة تُغرس فيها بذور النشىء مع تعهدها بكل ما يُسهم في حياتها وعدم موتها كما يتعهد الفلاح نباته.

فما هي الأصول المرجعية التي يستمد منها الفكر التربوي عند المسلمين ؟

المبحث الثاني: الأصول المرجعية للفكر التربوي عند المسلمين

نطرح تساؤلا مركزيا نحاول الإجابة عنه من خلال هذه المحاضرة مفاده:

– ما هي الأصول والينابيع المعرفية التي يتغذى منها الفكر التربوي في الإسلام ؟ وتُسهم في صياغة نظرية تربوية متكاملة تسعى لبناء الأفراد والمجتمعات والدول؟

عالج الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية هذه الإشكالية من خلال بيان ما تسعى إليه التربية الإسلامية لإعداد النائشة وفق ما يتناغم مع هويتهم الدينية وبيئاتهم الاجتماعية، وهو ما وفّره الإسلام من خلال ما أرساه من تعاليم وقيم ومبادىء تهدف إلى حفظ المكلفين بحفظ المقاصد الضرورية الكبرى.[1]، ومعناها: "أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم."[2]، والضروريات خمس وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.

---

[1] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص 28 وما بعدها بتصرف.

[2] الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 01، 1997، ج 02، ص17– 18.

وهذه الكليات يُبنى عليها غيرها، أن مقصد التربية الإسلامية هو التنظيم النفسي، والاجتماعي الذي يؤدي إلى تشرب مبادىء الإسلام، والتحقق بتعاليمه في حياة الفرد والجماعة، وهي بهذا المعنى تهيئة النفس الإنسانية لتحمل أمانة التكليف، وهذا يعني بالضرورة أن تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإسلامية، وأهمها القرآن والسنة.

ويقدم لنا ماجد عرسان الكيلاني في كتابه تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية تعليلا لاعتبار المرجعية المعرفية للتربية الإسلامية مُستمدة من الوحي (الكتاب والسنة)، لكونها "خطوط عريضة تسمح بالاجتهاد وتساير التطور وتلبي حاجات المجتمع لبناء نظرية تربوية ذات فلسفة متميزة وأهداف واضحة محددة، ونظام تربوي يهيء ناشئة المجتمع الإسلامي وبنيه ليجسدوا هذه الأهداف في وجودهم الخاص، وفي تعاملهم مع الآخرين، وتفاعلهم مع الأحداث والوقائع عبر الزمان والمكان."[1] وعلى هذا الأساس يُشكل الوحي (الكتاب والسنة) القاعدة المعرفية والأصل المرجعي الرئيس للفكر التربوي في الإسلام .

ويُمكن أن تتحدد معالم هذا المرجعية في الأهداف التالية:

1.2- **مبدأ الاستخلاف**:

وهو مبدأ رئيس أرساه الوحي من خلال بيان مقصدية خلق الإنسان، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:30)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: 165)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (النمل:62)، وجاء في تفسير هذه الآية: "أي: خلفاء فيها، تتصرفون فيها كيف شئتم، بالسكنى وغيره، وراثة عمن كان قبلكم من الأمم، قرناً بعد قرن. أو أراد بالخلافة: الملك والتسلط."[2]

---

[1] تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص 25.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ، ج 04، ص 209.

وعمارة الأرض بالسكن وتدبيرها بالملك هو مشروع تربوي ورؤية منهجية وأساس رئيس في قيام الدول وظهور العمران، وهو ما بينه ابن خلدون في مقدمته في الحاجة إلى الاجتماع البشري: " فالله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه. ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري" [1].

والاجتماع البشري مثمر للتعاون والتشارك بين الأفراد والمؤسسات والتثاقف بين أفراده ومؤدي إلى ظهور الحرف والصنائع والعلوم، وهذا كله متوقف على وجود مؤسسات تربوية وتعليمية ومراكز تكوين. وهذا بدوره جزء لا يتجزأ من تحقيق العبودية لله الجامعة لعالمي الغيب والشهادة.

وقد ورد مصطلح الاستخلاف (بمرادفاته) ما يقرب من 16 مرة في القرآن الكريم.[2]

إن خلافة الإنسان على الأرض تقتضي تسخير كل ما فيه إعمارا وبناء واستثمارا في الميادين كلها (الأسرية والاجتماعية والسياسية)، لذا جعل الله له أهلية التلقي عنه (الوحي + العقل باعتباره وسيلة لفهم النص)، وهذه القابلية للتلقي كانت بفعل طبيعتين:

2.2- الطبيعة الكِيانية:

وصورة خِلْقته (تراب + روح)، فجعل الله له طبيعتين، إحداهما تربطه بالعالم الأرضي (ترابه وطينته) والأخرى تربطه بالعالم العلوي النوراني (روح) [3]، وهو ما صرّح به الله عزوجل بقوله: ﴿ وَإِذْ

---

[1] المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار يعرب، دمشق ط 01، 2004، ج 01، ص 137.

[2] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة، ط 1364 هـ.، ص 239 وما بعدها بتصرف.

[3] التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، بدون تاريخ، ص 13 وما بعدها بتصرف. وانظر أيضا: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص28 وما بعدها بتصرف.

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:29).

وهو ما بينه الشيخ الأكبر مُحي الدين بن عربي حيث يرى أن الإنسان رابط للحقيقتين (الترابية والنورانية)، صنعه الحقّ بيديه فكان مُضاهيا للأسماء الإلهيّة بخُلقه وللأكوان العلويّة والسّفليّة، بخَلقه جعله الله نائبًا عنه وسرًّا بين خلقه وهذا بسبب نظر الخلائق إليه قبل وُجُود مركّبه البهيم (الحيواني الترابي، أي من جهة يتغذى وينمو).[1]

3.2- تزويده بالاستعدادات:

والقابليات والقدرات العقلية والنفسية والجسدية التي تمكنه من التلقي عن الله، تحويل ما يتلقّاه إلى ممارسات تطبيقية عملية في الأرض ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة:31)، وقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (القلم:3-4-5)، والقراءة هنا أمر بقراءتين وهو ما عبر عنه طه جابر العلواني في كتابه الجمع بين القراءتين (الكون المسطور والكون المقروء) أي دعوة إلى تدبر الوحي والتأمل في الكون، لذا كانت أول آية في الوحي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:01-02)، ففي الآية تنبيه إلى وجوب قراءة الخلق وهي متوقفة على قراءة الذات الإنسانية باتجاه الكون والآفاق والانطلاق من المحسوس إلى المجرد أو من الأرضي إلى السماوي.[2]

4.2- حرية الإرادة والاختيار:

حتى يُمارس الإنسان وظيفته وعبوديته لله عزوجل على أكمل وجه، ويحقق وجوده القيمي والأخلاقي لترتب المسؤولية والجزاء على أفعاله بفعل قانون الإلزام الأخلاقي منحه الله حرية الإرادة

---

[1] عقلة المستوفز، ابن عربي، مطبوع مع إنشاء الدّوائر + التّدبيرات الإلهيّة، مطبعة بريل، ليدن، ط 1336 هـ، ص 42.

[2] انظر: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، ط 01، 2006، ص 16 وما بعدها بتصرف.

والعمل والتطبيق، ووضع في طبيعة خِلقته الخير والشرّ، وهو ما نص عليه القرآن الكريم الكريم: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس:7-8)

وهذا الأساس محور مركزي تقوم عليه المنظومة الأخلاقية بأسرها، وهو ما بينه عبد الله درّاز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم، فيقول:

"يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم -في نهاية الأمر- على فكرة الإلزام l'obligation، فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته، وفناء ماهيتها، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن تعود العدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية."[1]

فقولنا الإنسان الخليفة يتضمن الإنسان باعتباره كائنا أخلاقيا يخضع لمنظومة أخلاقية تحت مبدأ الإلزام الأخلاقي (افعل ولا تفعل على وفق ما تتحقق به ماهيته وسعادته ويؤدي وظيفة العبودية لله عزوجل)، وقانون الجزاء الأخلاقي يتطلب المسؤولية والجزاء، ولا يُمكن أن يترتب الجزاء على الفعل إلا على قاعدة مُبرّأة من الضغط والإكراه والجَبْر، وهي من خصائص المنظومة الأخلاقية في الإسلام، فإذا تحققت المنظومة الأخلاقية سادت العدالة[2]، وإذا سادت تحققت حقيقة الاستخلاف، وأصبح للعدالة مضامينها وتجلياتها على الفكر والحياة والأسرة والمجتمع والدولة.

5.2- انجذاب الإنسان إلى الفطرة:

إن الإنسان بحكم خِلقته وبسر النفخة الإلهية مفطور على الانجذاب لله عزوجل وطاعة الله ومحبته، والاتجاه إلى الخير والفضيلة والإيمان، والنفور من الكفر والرذيلة، فالتوحيد هو الأصل، وما عداه فهو عارض بسبب طمس الفطرة بفعل العوامل المختلفة، لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

[1] انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط 10، 1998، ص 21.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 21 وما بعدها بتصرف.

يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:30)، وجاء في تفسيرها في البحر المديد لابن عجيبة: "فالأرواح حين تركيبها في الأشباح، كانت قابلة للتوحيد، مُهَيَّأَةً له، بل عالمة به بدليل إقرارها به في عالم الذر، حتى لو تُركوا لَما اخْتَارُوا عليه ديناً آخر."[1]، وعالم الذر هنا إشارة إلى آية الميثاق والعهد الذي أخذه الله على بني آدم جميعا قبل خلقهم وهم ذرّ في ظهر آدم عليه السلام:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172).

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة على لسان المؤمن الذي لم تتشوه فطرته وتذكر عهد ربّه:

﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يس: 22-23-24)

يُعلّق ماجد عرسان الكيلاني على ما ساقه من أسس الاستخلاف في القرآن الكريم بقوله: "هذا هو التصميم الإلهي للنفس الإنسانية، أما المعصية والرذيلة وانقطاع الصلة مع الله فلا جذور لها في التصميم والإيجاد الإنساني، ومصدرها فترات الضعف والمرض النفسي أو العقلي التي تنتاب الإنسان من آن لآخر وتعيقه عن استعمال طاقاته واستعداداته وعن تنسيق وجوده مع القوانين والأقدار التي تنظم العوالمة المحيطة به ... وهذا التصميم الإلهي جزء من تصميم أكبر يشمل الوجود بأسره، فالكائنات كلها من جماد وحيوان ونبات منتظمة مع الإنسان تُعينه بشكل دقيق على أداء وظيفته وعبوديته لله عزوجل."[2]

6.2- العيش وفق الطبيعة:

إن أداء مهمة الاستخلاف والعبودية لله عزوجل ليست تمردا على متطلبات النفس والجسد وانتصارا للروح ووأدًا للشهوات، فهي مُغالبة لطبيعة الخِلقة وثنائية التكوين (جسد وروح)، وإنما

---

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ، ج 04، ص 339.

[2] تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص 27.

الإنسان بسر هذا التكوين متأرجح بين عالمين نوراني سماوي وترابي أرضي يوظف كلا منهما لأداء حق العبودية وإعمار الكون، وإنما الإشكال في غلبة أحد العنصرين على الآخر، فالمادية الرعناء المفرطة مُهلكة والروحانية المتطرفة والرهبانية مُهلكة ومرفوضة أيضا، وفي الحديث: «إن الرهبانية لم تكتب علينا»[1].

ووفقا لهذه الطبيعة الكِيانية فالإنسان يسعى لتحقيق التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وهو ما دعا إليه القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:77). وجاء في تفسيرها: "واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها لأنها مزرعة الآخرة، فيها تكتسب الحسنات وترفع الدرجات، أي: لا تنس نصيبك منها أن تقدمه للآخرة، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك فيما أنعم به عليك، أو: أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام، كما أحسن إليك بسوابغ الإنعام. ولا تبغ الفساد في الأرض بالظلم والبغي وإنفاق المال في المعاصي إن الله لا يحب المفسدين لا يرضى فعلهم."[2]

ومن هنا يأتي دور التربية الإسلامية وفق ما قرره المختصون في الفكر التربوي بهدف تحقيق حفظ التوازن للإنسان بمراعاته مختلف حاجاته البيولوجية والنفسية والروحية والذهنية والأبعاد الجمالية، وهي مندرجة جميعا تحت الأقسام الثلاث للمقاصد (ضروريات — حاجيات – تحسينيات).

وهو ما بيّنه الإمام الشاطبي في موافقاته في تعليله لدخول المكلّف تحت أحكام الشريعة، والمتمثّل فقال: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله

---

1 أخرجه أحمد في مسنده عن عروة، كتاب باقي مسند الأنصار، باب باقي المسند السابق، رقم: 24706، وأخرجه الدارمي عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: "إني لم أومر بالرهبانية"، كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، رقم: 2075.

[2] البحر المديد، مرجع سابق، ج 04، ص 275.

اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا."[1]، وإخراج المكلّف من داعية هواه هو نفسُه ما يسعى إليه علماء التربية والسلوك.

فالمنهج التربوي الإسلامي مُتناسق مع طبيعة الإنسان وأبعاده المختلفة، وقد استقى علماء المنهج التربوي فكرهم التربوي من تعاليم الوحي قرآنا وسنة، فهذا النبي ﷺ يُجيب أولئك الشباب الثلاث الذين جاؤوا مجلسه، وقال أحدهم: أعتزل النساء ولا أتزوج وقال الثاني: أصوم وأفطر، وقال الثالث: أقوم ولا أرقد (وكلها أعمال فيها جنوح وإفراط وتفريط وانتصار للروح على حساب الجسد، فعلمهم النبيﷺ المنهج التربوي الجامع بين الروح والجسد قائلا: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2]

3- العوامل المُسهمة في إرساء الفكر التربوي عند المسلمين:

أسهمت مجموعة من العوامل في بلورة الفكر التربوي في الإسلام، وتأسيس رؤية متكاملة تستحضر المعطى المرجعي (الوحي) والمكلّف على حد سواء المرشّح للخلافة، ويُمكن إجمال هذه العوامل في النقاط التالية:

1.3- العامل العقائدي:

من خلال السعي إلى تحديد الصلة بين الخالق (المربّي) وبين الإنسان المخلوق المكلف، والمضامين التي ترسم هذه العلاقة هي أركان الإيمان الستّ (المنظومة الغيبية)، إضافة لأحكام الإسلام وشرائعه الخمس (أركان الإسلام)، ويبين النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية العلاقة بين المنظومة العقدية والتشريعية بقوله: "يرى المتتبع لآيات القرآن التي تتحدث عن الإيمان، أن الحجر الأساسي لنظام الإسلام كله هو الإيمان، وبالتالي فإن التربية الإسلامية التي تعني بتنشئة الإنسان المسلم المنطبع بطابع الإسلام العامل بكل تعاليمه، يجب أن تبنى على أساس الإيمان بكل أركان الدين إيمانا واضحا

---

[1] الموافقات، مرجع سابق، ج 02، ص 289.

[2] أخرجه البخاري عن أنس،كتاب النكاح، بابٰبَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم: 5063.

متميزا.وكل تربية تهمل ركنا من أركان الإيمان تصبح تربية ناقصة شوهاء، لا فائدة منها، فالله تعالى إنما جعل القرآن كله هدى للذين يؤمنون بالغيب، كما أخبر في أول سورة البقرة، والغيب في القرآن يطلق على كل ما يجب الإيمان به مما غاب عن الحس."[1]

ويشرح محمد الغزالي هذه العلاقة بتناوله لحديث جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان فيقول: "والحديث الذي بين أيدينا يشرح الحقيقة الصحيحة للدين، والإيمان إذا صح لا بد أن ينتج العمل، والعمل إذا صح لا بد أن يرتكز على الإيمان، والإحسان إذا صح لا ينشأ إلا من إيمان راسخ وعمل كامل، ويمكن أن تقول إن الدين الذي جاء جبريل يعلمه هو الإسلام، والإسلام لا يصح إلا بالروح الكامنة فيه، والوقود المحرك له أي الإيمان الحق، فإذا استبطن هذا اليقين الدافع فأمامه مثله الأعلى في إحكام الصلة بالله، والشعور برقابته الدائمة وشهوده الجليل، وهو مقام الإحسان"[2]، وهذا الذي أشار إليه الغزالي دليل على أن مقصد الشارع من وضع الشريعة في منظوماتها الثلاث (العقدية – التشريعية – الأخلاقية) الواردة في حديث جبريل إنما القصد منه تزكية المكلّفين بها، وهو ما بينه الشاطبي: "نعم، وضع الشريعة على أن تكون أهواء النفوس تابعة لمقصود الشارع فيها، وقد وسع الله تعالى على العباد في شهواتهم وأحوالهم وتنعماتهم، على وجه لا يفضي إلى مفسدة، ولا يحصل بها المكلف على مشقة، ولا ينقطع بها عنه التمتع إذا أخذه على الوجه المحدود له."[3]

2.3– العامل الاجتماعي:

وقد تكفلت أحكام الشريعة الإسلامية بمضامينها الشرعية (المعاملات) في تنظيم حياة الناس من خلال المواثيق والعهود والعقود وإرساء نظام العدالة وسنّ العقوبات والحدود والتعازير وإرساء القيم الاجتماعية المختلفة (التعاون – التكافل – الرحمة)، وإرساء القيم السياسية (العدالة – الطاعة – الشورى). والمعاملات في الدرس المقاصدي داخلة ضمن الحاجيات، ومعناها عند الشاطبي:

---

[1] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص 67.

[2] الجانب العاطفي من الإسلام، الغزالي محمد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 03، 2003 ، ص 18.

[3] الموافقات، مرجع سابق، ج 01، ص 516.

"أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل علتي المكلفين- على الجملة- الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة وهي جارية في العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات."[1]

وهذه الحاجيات داعية لإرساء القوانين وتشريع الجزاء، وهذا كلّه مندرج ضمن دائرة الإلزام الأخلاقي وفي هذا يقول درّاز معللا:"ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن تعود العدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضا، وطبقا لما يسمى بالمبدأ الأخلاقي."[2]

وعليه تغدو القوانين والحدود الشرعية والقانونية وسائل تربية ناجعة تسعى لإصلاح المكلف وحفظه في نفسه وماله ودينه وعرضه، وهو المعنى الذي أشار إليه النبي ﷺ: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[3].

3.3- العامل المكاني:

وهو إشارة إلى المعمورة بأسرها (الكون)، وهو فضاء لأداء العبودية (العبادات والمعاملات وإقامة العدل) وعمارة الكون، وهو عامل مُسهم في البناء الحضاري وفق الرؤية الخلدونية ومعادلة مالك بن نبي الحضارية (إنسان + تراب + زمن = حضارة). يقول ابن خلدون: "اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال."[4]

---

[1] الموافقات، مرجع سابق، ج 02 ص 21.

[2] دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق ، ص 21.

[3] أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: 9.

[4] المقدمة ، مرجع سابق، ج 01، ص 125.

وهذه العلاقة بين المكان والإنسان والعمران حقيقة أشار إليها القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:61)، وجاء في تفسيرها: "كانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنشائهم من الأرض فلأجل منافعهم في الأرض قيدت نعمة الخلق بأنها من الأرض التي أنشئوا منها، ولذلك عطف عليه واستعمركم فيها. والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع."[1]، وإعمار الأرض بتسخير واستغلال ما فيها جزء من تحقيق العبودية لله، وإهمال ذلك له تداعيات سيئة تجعل الأمة الإسلامية متسولة لدوائها وغذائها ولباسها ذاهلة عما حباها الله من نعم وخيرات.

لذا نجد محمد الغزالي يتكلم بمرارة عن خطورة الاستقالة من عالم الشهادة، وما أثمره من انحطاط وتردي، وكيف أفرزت الدراسات النظرية في العقائد والرسوم والأشكال في العبادات والمباحث الفقهية في الفروع فراغا دخل منه الغزاة البيض إلى مجاهل إفريقيا ووجدوا قوما لا يكادون يفقهون قولا، فسرقوا منهم أرضهم ونفطهم وذهبهم وألهاهم بفُتات الموائد والعجب أن بين يديها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: 29)[2] .

4.3- العامل الزماني:

والمقصود به مراعاة عمر المتعلم في العملية والمنهج التربوي، باعتباره المادة الخام التي من خلالها يُمكن إعداد الناشئة للمستقبل، وهو ما سنقف عليه بالتفصيل عند حديثنا عن أعلام الفكر التربوي في الإسلام ومدى مراعاتهم لهذا الأمر.

---

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر ، تونس، ط 1984، ج 12، ص 108.

[2] انظر: سرّ تأخر العرب والمسلمين، الغزالي محمد، نهضة مصر، ط 07 ، 2005، ص 75.

المبحث الثالث: الفكر التربوي عند المسلمين نشأته وتطوره وخصائصه

سنحاول أن نجيب على سؤال مركزي من خلال هذه المحاضرة مفاده: كيف بدأ وتبلور الفكر التربوي عند المسلمين؟ وما هي خصائصه ؟ وما أبرز المراحل التي مرّ بها ؟

مرّ الفكر التربوي في الإسلام بأربع مراحل مهمة: وهي مرحلة البناء – مرحلة العصر الذهبي – مرحلة التدهور والانحطاط – مرحلة التجديد وإعادة البناء.[1]

1.مرحلة البناء:

تبدأ هذه المرحلة زمنيا مع ظهور الإسلام وتمتد حتى نهاية الدولة الأموية سنة 131هـ، وقد تميزت بمجموعة من الخصائص أبرزها:

أ– كانت التربية عربية إسلامية خالصة.

ب– استهدفت قواعد الدين الجديد.

ج– اعتمدت على العلوم النقلية واللسانية.

د– اهتمت بالكلمة المكتوبة كوسيلة هامة للاتصال.

هـ– اعتماد الكُتّاب والمسجد والمكتبة كمراكز للتعليم.[2]

وعلى هذا الأساس كان الخط واللسان العربيان من أبرز العوامل التي أسهمت في انتشار الإسلام وتأسيس العلوم، وهو ما نوّه إليه ابن خلدون في مقدمته: "ثم لما جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه، فترقت الإجادة فيه، واستحكم، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، ... ثم انتشرت العرب في الأقطار والممالك، وافتتحوا إفريقية والأندلس، واختط بنو العباس بغداد وترقت

---

[1] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، ط 2005، ص 257.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، المرجع نفسه، ص 260.

الخطوط فيها إلى الغاية، لما استبحرت في العمران، وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة، في الميل إلى إجادة وجمال الرونق وحسن الرواء."[1]

ونجد ويل ديورانت في موسوعته قصة الحضارة يسجل إعجابه الشديد بالخط العربي وتميّزَه عن خطوط العالم: "وليس في خطوط العالم كله سواء كانت مكتوبة باليد أو مطبوعة ما يضارع هذا الخط في جمالهِ."[2]، وهو الأمر نفسه نجده في شهادة المستشرقة الألمانية أنيماري شيمل في كتابها "الجميل والمقدّس" حيث أشارت إلى المضمون التوحيدي العرفاني الذي يكتسبه الخط وارتباطه بالوحي من خلال التعابير المختلفة (اللوح المحفوظ – الكتابة – القلم)، ومن هنا استأنس المسلمون بالخط، وهو ما وظفه الأدباء والشعراء والمتصوفة في كتاباتهم.[3]

1.1.العوامل المساعدة على بلورة المرحلة الأولى:

أسهمت مجموعة من العوامل في أصالة الفكر التربوي عند المسلمين خلال المرحلة الأولى، ومن أبرز هاته العوامل:

- الحياة الأدبية في الجاهلية وذيوع الشعر كوسيلة تعليمية وانتشار أسواق الشعر.
- انتشار الإسلام واختلاط العرب مع غيرهم .
- دور اللغة العربية في نشر تعاليم الإسلام وحفظ الوحدة.
- حكم الشورى في عصر الخلفاء وأثره في حياة الأمة الإسلامية وما أفرزه من فسحة وتعدد للآراء وقوة الدولة الإسلامية وهيبتها.

---

[1] المقدمة ،ابن خلدون، مرجع سابق، ج 02، ص 119.

[2] قصة الحضارة، وِيل ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988 م، ج 13، ص 253.

[3] انظر: الجميل والمقدس، أنيماري شيمل، ترجمة وتحقيق: عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2008، ص 75 بتصرف.

- نقل الخلافة الإسلامية من المدينة إلى دمشق في عهد بني أمية.[1]

2.1.خصائص المرحلة الأولى:

تميزت المرحلة الأولى (مرحلة البناء) بمجموعة من الخصائص منها:

– كانت عربية خالصة: ويرجع ذلك إلى غلبة العرب وكون العنصر العربي هو الموجّه للحكم والسياسة والدين.

– انتشار حلقات الدروس والمساجد وساعد على ذلك ظهور المذاهب والفرق الإسلامية وهو ما أدى إلى اهتمام العلماء بالمسائل الدينية كمسألة القضاء والقدر ومرتكب الكبيرة.

–تفرق العلماء في الأمصار للتعليم ونشر الإسلام.[2]

–إرساء قواعد الدين الإسلامي الجديد: عن طريق الاهتمام بتعليم أصول الاعتقاد (أركان الإسلام) ومبادىء التكليف (أحكام الإسلام الخمسة) والقيم والفضائل. وهذه القاعدة المنهجية التربوية أرساها النبي ﷺ في التركيز على القواعد المهمات والأسس التي يقوم عليها الاعتقاد ويتحقق بها الفوز، وهو ما يُستشفّ من حديث جبريل المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان وتعليق النبي ﷺ على صنيع جبريل عليه السلام بقوله: « **هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**»[3].

فقول النبي ﷺ: « يعلّم الناس دينهم » قاعدة منهجية تمثّل الينابيع وتصحح المفاهيم على نور الوحي وإرساء دعائم الدين.

– اعتمادها على العلوم النقلية: (فقه — حديث – تفسير) واللسانية (نحو – بلاغة)، ويذكر محمد منير مرسي خصائص التعليم الإسلامي في هذه المرحلة وتكامل العلوم والمعارف فيما بينها في سبيل

---

[1] انظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، ص 67 وما بعدها بتصرف. وانظر أيضا: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 255 بتصرف.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 260 وما بعدها بتصرف.

[3] أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، رقم: 50.

إعداد الناشئة: "فمن المعروف أن التعليم الإسلامي بدأ بالعلوم النقلية وهي علوم القرآن الكريم وما يتصل بها من تفسير وفقه وعبادات، ثم أضيفت إليها علوم اللغة واللسان باعتبارها علوما مساعدة لفهم العلوم النقلية ومعرفتها. وفيما بعد دخلت العلوم العقلية من رياضيات وطب وكيمياء وفلك وفلسفة وغيرها. وقد تطورت هذه العلوم وتنوعت نتيجة للتقدم المعرفي الهائل الذي شهده العالم."[1]

د- الاهتمام بالكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال: (كتابة الوحي- مراسلة النبي ﷺ للملوك والأمراء - معاهدات الصلح - إنشاء دوواوين الكتابة)، ويرى عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته اقتران الكتابة بالعمران والحضارة وبُعدها عن أهل البداوة: "هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما في الدول العريقة في البداوة، التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع. وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد."[2]

ومن معالم إسهام الكتابة في الحضارة الإسلامية مراسلة النبي ﷺ للملوك والأمراء وهي مكاتبة دليل على :" أن الدعوة التي بعث بها رسول الله ﷺ ، إنما بعث بها إلى الناس كافة، لا إلى قوم بأعيانهم، وأن رسالته إنما هي إنسانية شاملة ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة، ولذلك اتجه ﷺ بدعوته يبلغها إلى كل حكام الأرض وملوكها."[3]

وفي الحديث «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى».[4]

هـ- فسح المجال لتعلم اللغة الأجنبية: دعوة النبي ﷺ لتعلم لغات الأقوام – تعلم زيد بن ثابت السريالية في مدة وجيزة - وتعليل ذلك: "ولم يكن تشجيع الرسول ﷺ قاصرا على تعليمهم القراءة

---

[1] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 40.

[2] المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار يعرب، دمشق ط 01، 2004،ج 01، ص 449..

[3] فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط 25، ص 254.

[4] أخرجه مسلم عن أنس،كتاب الجهاد والسير، بَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، رقم: 1774.

والكتابة لصبيان المدينة كما حدث مع أسرى بدر، بل طلب من زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود لأنه لا يأمنهم على القرآن، فعرف كتابتهم، كما طلب منه أن يتعلم السريانية قائلا له: إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا فتعلمها في مدة وجيزة."[1]

ويعلل لنا محمد منير مرسي العناية باللغات الأجنبية في الدعوة الإسلامية الأولى بقوله: "هكذا كان تعلم اللغات الأجنبية مطلبا للتربية الإسلامية منذ ظهورها للوفاء باحتياجاتها التي فرضت عليها الطبيعة الإنسانية العالمية للدين الإسلامي."[2]

و- اعتماد التربية في هذه الفترة على الكُتّاب والمسجد: وقد أشار ماجد عرسان الكيلاني إلى الوسائل المعتمدة في التربية والتعليم خلال الفترة الأولى (مرحلة البناء)، وذكر ثلاثة وسائل رئيسة قام عليها المنهج التربوي خلال هاته المرحلة وهي: الرواية – المذاكرة – السؤال، مُبينا حاجة هاته الأساليب جميعا إلى الكتابة والتدوين خصوصا بعد وفاة النبي ﷺ وجمع العلماء لأحاديثه ﷺ وانتشار الإسلام، وكثرة المرويات وتشعب طرقها مما جعل الكذب عن النبي ﷺ أمرا مُحتملا.[3]

وقد أسهم المسجد في الإسلام بحظ وافر في إرساء القيم وتربية النفوس ونشر العلوم والمعارف وتحقيق رسالة الإسلام الكبرى، ففيه:

"يتحاور المسلمون ويتناقشون ويطرحون المشكلات الدينية التي تواجه المسلمين، وهم في كل ذلك يعملون الفكر، ويشحذون القريحة، ويبحثون عن الحلول، فتثرى خبراتهم وتزكو ثقافتهم وتتسع مداركهم، وقد يجدون فيما يسمعون سبيلا إلى تعديل سلوكهم وتغيير نظرتهم إلى الأمور واتباع جادة الصواب."[4]

---

[1] التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 1980، ص 111.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 268.

[3] انظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص79 وما بعدها بتصرف.

[4] التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، مرجع سابق، ص 33.

وقد بيّن عبد الرحمن النحلاوي في كتابه "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة" الدور التربوي والاجتماعي للمسجد في حياة الأمة من خلال نقاط مركزية يُمكن تلخيصها في النقاط التالية: تنمية الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية- الاستماع للخطب والدروس العلمية وغرس العقيدة الإسلامية – فهم الهدف من الحياة – تعلّم القرآن الكريم وترتيله – النمو الفكري والحضاري – النمو الروحي من خلال الارتباط بخالقهم.[1]

وقد ذكر المسجد في القرآن الكريم مقرونا بالجمال والزينة وذكر الله وإقامة العدل، منها قوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: 108)، وجاء في تفسيرها: "هو مسجد قباء، أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام مقامه بقباء، حين هاجر من مكة."[2]

2.مرحلة العصر الذهبي (مرحلة الازدهار)

بلغ الإسلام في هذه الفترة أقصى حدوده من المحيط الأطلسي في أقصى المغرب إلى حدود الصين في أقصى الشرق ومن وسط آسيا إلى أدغال إفريقيا جنوبا، وكان هناك حضارتان في عاصمتين من أكبر الحواضر الثقافية في ذلك الوقت وهما:

1.2– العواصم الثقافية :

أولا: الدولة الإسلامية بالمشرق: ومن أبرز الخصائص التي ميّزتها نذكر:

---

[1] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص 110. وانظر أيضا مكانة المسجد ودوره في الإسلام: التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، مرجع سابق، ص 108 وما بعدها بتصرّف.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، ج 02، ص 428.

– انتشار اللغة العربية في جميع أنحاء آسيا انتشارا سريعا، والدليل على ذلك إسهام علماء العجم في حركة التأليف والتدوين في مختلف العلوم (البخاري – النسائي– الترمذي – مسلم – سيبويه – نفطويه – ابن خالويه ...).[1]

– شق العباسيين للطرق وتقدم الزراعة.

– استغلال العباسيين للثروات الباطنية كالحديد بخراسان ومناجم الرصاص بكرمان.

– استغلال مصادر النفط والأحجار الكريمة.

– ازدهار الفنون والآداب وظهور فن المقامات وألف ليلة وليلة.

– بناء المستشفيات (البيمارستانات) والمراصد الفلكية.

– تأسيس بيت الحكمة في بغداد في عهد المأمون.

– ازدهار العلوم الشرعية النقلية (فقه – تفسير– حديث ...)، والعقلية (كلام – منطق– فلسفة).

– تأسيس المدارس الفقهية (المذاهب الفقية الأربعة نموذجا).

– ظهور عباقرة أسهموا في الحضارة الإسلامية في مختلف العلوم منهم (البيوني– عمر الخيام – جابر بن حيان– الخوارمي– ابن سينا – الطوسي– الفردوسي– أبو حامد الغزالي).[2]

إن هذه المظاهر جميعا مؤشر حضاري كبير على ازدهار العلوم والصنائع والعمران وفق الرؤية الخلدونية: "فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه، صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش. ثم إن الصنائع والعلوم إنما هي للإنسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات، والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية، فهو مقدم لضرورته على العلوم والصنائع، وهي متأخرة عن الضروري. وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة."[3]

---

[1] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مرجع سابق، ص169 وما بعدها بتصرف.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، المرجع نفسه، ص169 وما بعدها بتصرف.

[3] المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق، ج 02، ص 91.

ولا غرابة أن نجد المنصفين من المستشرقين يسجلون ريادة الحضارة الإسلامية في هذه الفترة وفضلها على الحضارة الغربية في مختلف العلوم، من ذلك ما بسطته السيدة زيغريد هونكه في كتابها شمس الله تسطع على الغرب، أين أعربت في مقدمة كتابها عن دافع الإنصاف والموضوعية: "أردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصّب ديني أعمى أو جهل أحمق."[1]

ثانيا: الدولة الإسلامية في المغرب (إفريقيا):

كان المغرب جزءا من الإمبراطورية الرومانية التي عملت على نشر ثقافتها اللاتينية وأنظمتها التعليمية — ازدهار الفنون والآداب اليونانية – الفتح الإسلامي بمجيء عقبة بن نافع الفهري (50هـ) وتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي– ظهور عواصم ثقافية كالقيروان والقرويين وفاس وبجاية وتلمسان والجزائر، وكان عامل ظهور هذه الحواضر الثقافية الإسلام واللغة العربية فبفضلهما: "انكب شعب الإقليم على البناء والإبداع الحضاري في أوسع مجالاتهما، وفي جو من الحرية السياسية والبحبحة الاقتصادية، وقامت بالإقليم مراكز حضارية هامة لا تقل مكانا ورقيا عن مراكز الشرق الإسلامي. مثل: القيروان وفاس وتيهرت والمسيلة وأشير وقلعة بني حماد وبجاية ومراكش وتلمسان وقسنطينة، إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى وصقلية الإسلامية، التي تعتبر جزءا من هذا الإقليم المغاربي، ومن صنعه وإبداعه.وقد أخصب فيها الفكر ونفقت التجارة وتطور العمران واتسع وازدهرت الفلاحة والصناعة، والحياة الاقتصادية بصفة عامة، وتطورت الحياة الاجتماعية وازدهرت."[2]

وهذا التطور كلّه له انعكاس على العملية التربوية، إذ هي استثمار للمنتج المعرفي في إعداد الناشئة، كما أن الإنسان — محلّ العملية التربوية – ما هو إلا ثمرة وإفراز لواقعه وبيئته، فتمدنه وتحضره

---

[1] شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون + كمال دسوقي، دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط 08، 1993، ص 09.

[2] أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1995، ج 01، ص 11.

واكتسابه للعلوم والمعارف متوقف على المؤسسات التعلمية والتربوية التي تنشئها الدولة، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا في ظلّ الرفاه الاقتصادي والسياسة الرشيدة.

ثالثا: الدولة الإسلامية في المغرب (الأندلس):

دخل الإسلام إلى أرض الأندلس في عهد مبكر جدا ق 01 هـ، وكان لانتشار الإسلام واللغة العربية أثر كبير، ويمكن هنا أن نسجل شهادة ألفارو القرطبي المسيحي في القرن 09 م / 03 هـ كما نقلها ليفي بروفنسال في كتابه حضارة العرب في إسبانيا، يقول ألفارو القرطبي: "أبناء ديني يحبون إنشاد الأشعار العربية بل إنهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام لا ليدحضوها أو يفندوها وإنما ليقوّموا نطقهم العربي نُطقا صحيحا ... واحسرتاه لقد نسي النصارى لسانهم الديني ولا تكاد تجد بين كل ألف واحد منا واحدا يستطيع أن يكتب بصورة لائقة رسالة باللاتينية إلى صديق له."[1]

ومن معالم التمدن والحضارة في الأندلس في هاته الفترة نذكر:

– إنشاء المدارس والمساجد والفنادق ومصانع الأسلحة والحرير والجلود.

– العناية الفائقة بالزراعة فقد أدخل العرب إلى الأندلس زراعة الأرز والموز والفستق والنخيل وقصب السكر والخضر.

– الازدهار الفكري (ابن رشد– ابن باجة – ابن عربي– ابن طفيل– ابن مسرة– ابن حزم– ابن عبد البر– ابن حازم القرطاجني ...).[2]

– انتشار المكتبات حيث وجدت بالأندلس في هذه الفترة 70 مكتبة بها ما يقرب من 4000 مجلد.

---

[1] حضارة العرب في الأندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 80.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 271 وما بعدها بتصرف.

– انتشار الندوات العلمية بطليطلة وبلنسية والأندلس وإشبيلية، ويصف لنا المستشرق آدم متز في كتابه النفيس "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" ولع الملوك والأمراء ومفاخرتهم بالكتب والمكتبات: "وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع ولع شديد بالكتب، فكان الحكم صاحب الأندلس يبعث رجالا إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها، وكان فهرس مكتبته يتألف من أربعة وأربعين كراسة."[1]

وقد خصص المقري في كتابه نفح الطيب جزء للحديث عن فضائل أهل الأندلس وشغفهم بالعلم والمعرفة وعبقريتهم: "في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز أوهان وحوزهم في ميدان البراعة، من قصب البراعة، خصل الرهان، وجملة من أجوبتهم، الدالة على لوذعيتهم، وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم."[2]

– سقوط الأندلس عام 1492م وطرد جميع العرب منها إلى إفريقيا عام 1556م، وهو أمر – على مرارته– أسهم في انتقال كثير من العلماء إلى عدوة المغرب مما أسهم في انتقال المؤلفات والشروح والتلاميذ الذين أثروا المنطقة.

2.2– مميزات المرحلة الثانية : تميزت هذه المرحلة بمجموعة من الخصائص أبرزها:

– دخول العلوم العقلية: (فلسفة – رياضيات – هندسة – جبر – فلك – طب –كيمياء – موسيقى– تاريخ – جغرافيا).

---

[1] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 05، بدون تاريخ، ج 02، ص 322.

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997،ج 03، ص 150.

– نشأة المدارس ومنها: مدرسة أبي علي الحسيني بخراسان لتعليم الحديث وكان بها 1000طالب، ومدرسة ابن فورك بخراسان، ومدرسة أبي حاتم البستي، والمدرسة النظامية ببغداد.[1]

3.مرحلة مرحلة إعادة بناء المجتمع الإسلامي

1.3– الإطار الزمني:

من الملفت للانتباه في حديث المشتغلين بالفكر الإسلامي اختلافهم في تصنيف الفكر الإسلامي وتحقيبه زمنيا إلى مراحل تختلف أطرها الزمنية لتراكم الأحداث على العالم الإسلامي والتحولات الكبيرة التي عرفها على مختلف الأصعدة، فيرى البعض أن المرحلة الثالثة هي مرحلة الانحطاط محددا إطارها الزمني ببداية الحكم التركي العثماني حتى استقلال البلاد العربية.[2]، ويرى آخرون أن المرحلة الثالثة التي شهدها الفكر الإسلامي هي مرحلة إعادة بناء المجتمع الإسلامي كما ذهب إلى ذلك محمد البهي في كتابه مع الفكر الإسلامي في تطوره[3]، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه أن وصف هذه المرحلة بالجمود والانحطاط فيها شيء من التحامل، إذ لا يعقل ألا تكون هناك محاولات جادة هنا وهناك خرج أصحابها عن المألوف وقدموا جديدا في زمن الركود، وكمثال واحد على ذلك مولانا جلال الدين الرومي(ت 672هـ) الذي عاش في ذروة الدمار الذي تعرّض له العالم الإسلامي نتيجة غزو المغول والتتار، كان في قونية يؤلف المثنوي، وفي بلاد الغرب الإسلامي كان أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ) يؤلف كتابه الموافقات الذي يُعتبر رؤية استباقية في علم مقاصد الشريعة الإسلامية، وفي عسقلان كان أمير المؤمنينفي الحديث الإمام ابن حجر العسقلاني يكتب شرحه على صحيح البخاري، وهكذا أبدع العق المسلم في فترات الضعف. وهو ما يؤكد أن عملية تحقيب الفكر الإسلامي هي رؤية ووجهة نظر لا يمكن تعميمها على الأقطار كلّها.

---

[1] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 292.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 255.

[3] الفكر الإسلامي في تطوره ، محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1981، ص 20 وما بعدها بتصرف.

إضافة إلى أن ربط الجمود والركود بالعهد العثماني أيضا فيه بعض التعميم، ففي جزائرنا المحروسة وفي ظل الحكم العثماني عرفت الساحة الفكرية نشاطا معرفيا وروحيا ونبغ جملة من العلماء في مختلف العلوم، كالثعالبي وأحمد بن عبد الله الجزائري، والحوضي، ومحمد بن يوسف السنوسي والأخضري وفي بلاد المغرب الشيخ زروق الفاسي البرنسي، وهؤلاء الأعلام جميعا عاشوا بين القرنين 09+10هـ، وهي مرحلة الحكم التركي، إضافة إلى نشوء الحواضر العلمية والثقافية في هاته المرحلة كبجاية وتلمسان والجزائر العاصمة، وإسهام الأتراك العثمانيين في ردّ القوات العادية من الجبهات الأوروبية.

2.3– مميزاتها: تميزت هذه المرحلة بمجموعة من المميزات أبرزها:

- جمود الفكر الإسلامي.
- الاكتفاء بالعلوم النقلية وزحزحة العلوم الكونية والطبيعية والعقلية.
- جمود المؤسسات التعليمية.
- غلبة الثقافة التركية.
- دخول المؤثرات الثقافية الغربية.
- انتشار الشروح والحواشي والتعليقات وغلق باب الاجتهاد.[1]

إن هذه المرحلة هي وصف للفكر الإسلامي في تطوره، وهي انعكاس لواقع اجتماعي وسياسي ومعرفي ونفسي، لذا نجد محمد البهي–رحمه الله– يُعالج المراحل الزمنية التي مرّ بها هذا الفكر متوقفا عند كل مرحلة ومميزاتها، وكذا العوامل التي ساعدت في صنع هذا المشهد العام، ومن جملة هاته العوامل: العامل الداخلي المتمثل في التفتت والتشرذم الذي نشأ عن الفرقة المذهبية والركود الذهني، والعامل الخارجي الذي نشأ عن الاعتداءات الصليبية والغزو التتاري الرهيب، وهو ما أدى إلى تلاشي القوة السياسية والوحدة بين أجزاء العالم الإسلامي، وهذا ما انعكس على المنظومة المفاهيمية للعقل

[1] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 256.

المسلم، فعبس المسلمون في وجه البحوث العلمية واكتفوا بترديد واجترار ما سبق وانتشرت الشروح والحواشي والتعليقات.[1]

ويذهب زكي الميلاد إلى أن الاتجاه الفكري الذي مثّل الفكر الإسلامي في هاته المرحلة هو الاتجاه السلفي، حيث: "ارتبطت قضايا الفكر الإسلامي في هاته المرحلة بالظواهر والمفاهيم التي تتصل بالعقيدة وإصلاح الواقع الاجتماعي دينيا في نطاق البيئات العربية مع احتكاكه بالدولة العثمانية التي كانت تحاول أن توسع من سيطرتها على هذه البيئات."[2]

لقد كان الفتح التركي للبلاد العربية مع مطلع القرن 16م واستمراره إلى غاية القرن 19م عاملا مهما في بقاء العالم الإسلامي في عُزلة تامة عن العالم الخارجي، ففي الوقت الذي انكفأ فيه العقل المسلم على نفسه وتقوقع داخل بيئته، كانت أوروبا في هذه المرحلة تشهد نهضة علمية واكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد، كما بسطت نفوذها أيضا على العالم القديم ، ثم جاء القرن 18م مع الثورة الصناعية والسياسية فقلب أوضاع أوروبا رأسا على عقب وأعطتها مركز القيادة للعالم بأسره، بينما كان العقل المسلم جامدا يُنشيء شروحا وحواشي وتعليقات.[3]

4.مرحلة التجديد وإعادة البناء

1.4- الإطار الزمني:

تبدأ من استقلال البلاد العربية من الحكم التركي وحتى العصر الحاضر.[4] وباستقراء أعلام هاته المرحلة ومؤلفاتهم يتضح لنا الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة وأبرزها الاتجاه السياسي التحرري

---

[1] الفكر الإسلامي في تطوره ، محمد البهي، مرجع سابق، ص 28 وما بعدها بتصرف.

[2] الفكر الإسلامي تطوراته ومساراته الفكرية ، دار الهادي للطباعة والنشر والوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2001، ص 12.

[3] الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، علي المحافظة، النهاية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1987، ص 11.

[4] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 256.

الذي مثّله الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي والذي كان ردّة فعل لواقع الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي والسيطرة على خيراته وثرواته، والاتجاه العلمي خلال القرن 19م الذي رافق المنجزات العلمية التي وصلت إليها الحضارة الغربية، وهو ما انعكس على الانتاج المعرفي والفكري لعلماء هذه المرحلة.[1]

2.4– مميزاتها: تميزت هذه المرحلة بمجموعة من المميزات أبرزها:

- اقتباس النُظم التعليمية الغربية.
- العناية بالعلوم العقلية والحديثة (النورسي– مصطفى صبري– جمال الدين الأفغاني).
- تغلغل الثقافة الغربية.
- محاولة تطوير مؤسسات التعليم التقليدية.
- التبشير والاستعمار والتغريب ونشاط الجمعيات التبشيرية.
- البعثات العلمية إلى أوروبا (الطهطاوي – طه حسين).
- الدعوة إلى العامية.
- ظهور الدعوة إلى القومية.
- سقوط الخلافة الإسلامية.[2]

المحور الرابع: مؤسسات التربية في الحضارة الإسلامية

تناولنا في المدخل المنهجي السابق مفهوم الفكر التربوي، وأشرنا إلى تباين المفاهيم واختلافها من بيئة لأخرى وكونها مفاهيم لا تستوعب المجتمع الإسلامي، لاختلاف المرجعية الدينية والمكونات الاجتماعية والتاريخية والثقافية، وتوقفنا عند تعريف ماجد عرسان الكيلاني بأنه:

---

[1] انظر هاته الاتجاهات في: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 95–201 بتصرف.

[2] التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 256.

"الصورة التي يرغب المجتمع القائم لأطفاله وناشئته أن يقيموا مجتمع المستقبل عليها والسعادة التي يتمتعون بها والأساليب التي تُستعمل في إعداد الجيل الناشىء ليكونوا أعضاء فعّالين في مجتمعهم الذي ينتمون إليه."[1]

تتحدد أطراف العملية التربوية في هذا التعريف كالتالي: المربّي أو المؤسسة التربوية (المجتمع القائم) – محلّ التربية (الأطفال والناشئة) – مشروع التربية – المضمون المعرفي والهدف التربوي (الصورة المرغوبة أو الهدف)، والمجتمع القائم إشارة إلى القائم بالفعل التربوي داخل المجتمع أو الفاعل التربوي، فمن هم الفاعلون التربويون الذين يسهمون في إعداد الناشئة ؟

1.الأسرة:

تقوم الأسرة على الوالدين وتُناط بهما مهمة تربية الأبناء وإعدادهم إعدادا بيولوجيا ونفسيا سليما وتربيتهم على القيم والفضائل وتوفير فضاء معرفي وتهيئتهم لذلك، وقد عالج عبد الرحمن النحلاوي في كتابه "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة " المهام التربوية الرئيسية للأسرة، ومنها: إقامة حدود الله بين الزوجين، أيْ: "أي تحقيق شرع الله ومرضاته في كل شؤونهما، وعلاقاتهما الزوجية، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله ... وهكذا ينشأ الطفل ويترعرع في بيت أقيم على تقوى من الله، ورغبة في إقامة حدود الله، وتحكيم شريعته، فيتعلم، بل يقتدي بذلك من غير كبير جهد أو عناء، إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد، ويقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعيا. "[2]، وفي الحديث ما يشهد لذلك، منه قول النبي ﷺ:

---

[1] سبقت الإشارة إلى هذا التعريف في المحور الأول.

[2] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص 111.

«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ».[1]

ومعنى الحديث: "أنهما يعلّمانه ما هو عليه ويصرفانه عن الفطرة، ويحتمل أن يكون المراد يرغبانه في ذلك، أو أن كونه تبعا لهما في الدّين بولادته على فراشهما يوجب أن يكون حكمه حكمهما."[2]

ومن مهام تربية الوالدين للطفل حُسن اختيار الزوجة ابتداء لأنها محلّ الولد، وفي الحديث: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»[3]، وهذه عادة العرب، ومما يُروى عن أحد الأعراب فيما ينقله أبو عمرو بن العلاء قال: "قال رجل: لا أتزوّج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها، قيل له: كيف ذاك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمّها فإنها تجرّ بأحدهما."[4]

وقد أرسى القرآن الكريم أسس تربية الأبناء وحملهم على الآداب، ومن نماذج ذلك الآداب العامة المتعلقة بالاستئذان لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: 59)، وفي تعاليم السادة الصحابة ما يرسي قيم المحبة والرحمة، فعن عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ قَالَ لِعُمَرَ وَرَآهُ يُقَبِّلُ بَعْضَ وَلَدِهِ، فَقَالَ: أَتُقَبِّلُ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ لَوْ كُنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَبَّلْتُ لِي وَلَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: «اللَّهَ اللَّهَ؟» حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، فَقَالَ عُمَرُ: «فَمَا أَصْنَعُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».[5]

---

[1] أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، رقم: 1358.

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج 08، ص 177.

[3] أخرجه ابن ماجة عن عائشة، كتاب النكاح، بَابُ الْأَكْفَاءِ، رقم: 1968.

[4] عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1418هـ، ج 04، ص 04.

[5] الجامع، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان، ط 02، 1403هـ، ج11، ص 299.

2.المسجد:

ورد مصطلح المسجد بمفرداته (سجد- يسجد- اسجد- سجودا- مسجدا ...) 92 مرّة في القرآن الكريم، وأكثر الصيغ ورودا هي كلمة مسجد، إذ وردت 20 مرة.[1]، وأغلب السياقات تنصرف إلى المسجد الحرام لمكانته في غرس العقيدة ودعامة التوحيد، وقد عبّر عنه الله سبحانه وتعالى بكونه أول معلم ديني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: 96-97).

وفي واقعنا المعاصر تخلى المسجد عن دوره التربوي وأضحى مكانا للعبادة فقط، لذا دعا البعض إلى ضرورة استعادة مكانة المسجد ودوره التربوي وذلك بـ: "أن يعيد سيرته الأولى، وأن يسهم في التربية إسهاما كبيرا إذا ما ارتبط به الطفل في وقت مبكر من سني حياته، وإذا ما كان إمام المسجد ذا ثقافة دينية متميزة وثقافة عامة واسعة، وكان ذا سمعة طيبة وحجة قوية وقدرة كبيرة على الإقناع، حاضر البديهة، رحب الصدر، وإذا ما زوّد المسجد بمكتبة إسلامية مناسبة تجذب الناس إلى القراءة والاطلاع."[2]

وقد لعبت المساجد بالعالم الإسلامي دورا لا يُستهان به وكانت مُسهمة في البناء الحضاري، ومنها المسجد الحرام والمسجد النبوي، وجامع القرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس والجامع الأزهر بمصر والمسجد الأموي بدمشق، وكانت هذه الأخيرة مؤسسات تربوية ومنارات علمية وثغور مرابطة لصد العدوان ومنابر تزكية وتربية وأخلاق أخرجت جيل بدر وصلاح الدين الأيوبي.[3]

3.المدرسة:

---

[1] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة، ط 1364 هـ، ص 244.

[2] التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمه، ص 34.

[3] انظر تفصيل ذلك في كتاب: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 14، 1996، ج 01، ص 425

تُعتبر المدرسة مؤسسة تربوية هامة في الحضارة الإسلامية، كانت بذرتها مدرسة الأرقم، يقول عباس محجوب: "ولعلنا نستطيع أن نقول بنوع من التجاوز: إن أول مدرسة في تاريخ الإسلام هي تلك المدرسة التي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة، حيث ربى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تربية لم تتوفر في تاريخ البشرية، بالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ترك بعده المصدرين الأساسيين للدعوة والتربية، وهما القرآن الكريم وسنته زيادة على سيرته العطرة."[1]

وكانت هذه المدرسة ضرورة دعوية وتربوية أملاها تزايد عدد الداخلين في الإسلام مما يتطلب فضاء تعليميا وتربويا لتوجيههم وإرشادهم: "ثم لما أربى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين- ما بين رجل وامرأة- اختار لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم، ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم، وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلا وامرأة دخلوا في الإسلام، عامتهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش."[2]

وقد بذل أحد علماء الإسلام جهدا جبارا في رصد أبرز المدارس في الحضارة الإسلامية وهو عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت927هـ) في كتابه الدارس في تاريخ المدارس، وقسّمها باعتبار مكانتها ومنزلتها، فذكر: دور القرآن الكريم- دور الحديث- مدارس الشافعية- مدارس الحنابلة- مدارس الأحناف- مدارس المالكية- الخوانق- الرباطات- الزوايا، وذيّل ذلك كلّه بالحديث في ذكر مساجد دمشق.[3]

---

[1] التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، ص 111.

[2] فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط 25، 1426 هـ، ص 69.

[3] الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: 927هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1990، ص 07 وما بعدها بتصرف.

وقد شهد العالم بأسره تحولات جذرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع وتكورا مذهلا للتقنية التي أدت إلى تمازج الثقافات، ومع مدّ العولمة وتقارب الشعوب والقرية الكونية الواحدة أصبحت المنظومة القيمية للأمة الإسلامية مهددة بالزوال، ومع هذا لا زالت المدارس في العالم الإسلامي تراوح مكانها مستوردة مناهج غربية تعليمية أو مدرسة لقيم ومضامين غربية في برامجها التعليمية، وهو واقع فرضه الاستلاب الحضاري والتخلف والتبعية، لذا نجد عبد الرحمن النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة يُعالج هذه الإشكالية مُنبها إلى المخاطر التي تتهدد المناهج التعليمية والمدارس في العالم الإسلامي، داعيا إلى السعي لإصلاح المناهج التعليمية وفق قواعد منهجية وأهداف مُسطّرة ولتحقيق ذلك: "يجب على المدرسة أن تستقي مناهجها وكتبها، ومقرراتها ونشاطها من صميم عقيدة الأمة وتاريخها، وأهدافها ومتطلباتها وآمالها وآلامها، حتى تخرج جيلا يحس بمشكلات مجتمعه، ويعمل على حلها، ويحس بآلام أمته ويربى على السعي إلى محوها، يعادي من يعادي أمته، وتحيا في نفسه مثلها العليا ومصالحها، فيعمل على تحقيقها منذ نشأته، ليستمر متعاطفًا مع مجتمعه وقضايا أمته مواليا للأمة الإسلامية مخلصًا لها طيلة حياته."[1]

وهذا الخلل المنهجي في المناهج التعليمية عالجه الشيخ محمد الغزالي في كتابه سرّ تأخر العرب والمسلمين وانعكاس ذلك سلبا على النظرة المتكاملة لبناء الإنسان، وكان من ثمرتها الفصل بين عالم الغيب والشهادة، وهذا كلّه كلّف الأمة الإسلامية ركودا وجمودا استمر لقرون، لذا نجده يتكلم بمرارة عن هذا الواقع وما أفرزه من انحطاط وفراغ دخل منه الغزاة البيض إلى مجاهل إفريقيا ووجدوا قوما لا يكادون يفقهون قولا، فسرقوا منهم أرضهم ونفطهم وذهبهم، وألهاهم بفُتات الموائد، والعجب أن بين يديها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: 29)[2]

---

[1] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، ص 133.

[2] انظر: سرّ تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، نهضة مصر، ط 07، ص 75 بتصرف.

4.المجتمع:

قال تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 58)، يقول عباس محجوب موظفا هذه الآية في بيان دور المجتمع التربوي:

"وهذه الآية توضح لنا أن التربية لا تتم إلا في إطار اجتماعي وداخل مجتمع مسلم نظيف، لأن الطفل لا يمكن تربيته بعيدا عن المؤسسات الاجتماعية، مثل البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام وغيرها، لما لهذه المؤسسات من أثر تربوي فعال، ولما للعادات والتقاليد والأخلاقيات الاجتماعية من تأثير على الطفل، والسلوك الإنساني عبارة عن التفاعل بين الظروف الاجتماعية البيئية والطبيعة الإنسانية."[1]

وقد لخّص النحلاوي الوسائل التي يستخدمها المجتمع في تربية الناشئة وحملهم على الفضائل، ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إرساء قيم الأخوّة- التأديب بسخط المجتمع وتعنيفه للمسيء- التأديب بالحرمان الاجتماعي أو الهجر والمقاطعة- التربية الاجتماعية بالتعاون- تربية الناشئين على الحبّ في الله- حسن انتقاء الأصدقاء على أساس التقوى والإيمان.[2]

وهذه الوسائل التربوية كلّها من معين الوحي وسيرة النبي ﷺ مما يؤكدّ على المرجعية الإسلامية المنبثقة عن تعاليم الوحي، ويُمكن أن نستلهم المعاني السابقة تأكيدا لأهميتها وفاعليتها في صياغة ناشئة وخلق جيل يقوم على الفضائل والقيم، وسنكتفي بشرح وتبسيط بعضها للتدليل والتمثيل على كون التربية في الإسلام متضَمّنة في مختلف المناحي.

– فقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمة اجتماعية قُرآنية، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:

---

[1] بيئات التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 116.

[2] انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص 144 وما بعدها بتصرف.

104)، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة: 71)، وجاء في تفسير لفظ الولاية في الآية: "أي: أصدقاء بعض."[1]

وقد نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع لفت الانتباه إلى حال الأمم السابقة وضرورة الاعتبار بمآلهم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: 116-117)، وجاء في تفسيرها:" فهلاّ كان من القرون من قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكرهم، أولوا بقية من الرأي، والعقل ينكرون عليهم، أي: فهلا وجد فيهم من فيه بقية من العقل والحزم والثبوت، ينهون عن الفساد في الأرض، لكن قليلا ممن أنجينا منهم كانوا كذلك، فأنكروا على أهل الفساد، واعتزلوهم في دينهم فأنجيناهم. وفي هذا تحريض على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وأنه سبب النجاة في الدارين."[2]، وفي الحديث ما يشهد لذلك لقوله ﷺ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا».[3]

وجاء في عون المعبود في شرح الحديث: "ولتأطرنه على الحق أطرا، قال الخطابي أي لتردنه على الحق وأصل الأطر العطف والتثني، وقال في النهاية وتأطروه على الحق أطرا تعطفوه عليه ولتقصرنه على الحق قصرا، أي لتحبسنه عليه وتلزمنه إياه كذا في مرقاة الصعود."[4]

---

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 02، ص 404.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق ج 02، ص 586.

[3] أخرجه أبو داوود عن عبد الله بن مسعود، من حديث طويل أوله: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ »، كتاب الملاحم، بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، رقم: 4336. انظر: سنن أبي داوود، أبو داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ، ج 04، ص 121.

[4] عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف الصديقي، العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1415هـ، ج 11، ص 327.

– أما عن قيم الأخوة، فقد دعا الإسلام إلى إرساء هذه القيمة وجعلها الله علامة إيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 10)، بل دعا الله إلى التجاوز عن خطأ الإخوان وزلاتهم والدعاء لهم بالمغفرة: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(يوسف:92)، وقوله تعالى في معرض الامتنان بالإيمان المثمر للأخوّة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103).

يقول علي أحمد مدكور موظفا هذا النصّ ومُعلّقا عليه: "فهي أخوة تجمع القلوب في الله، وتصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية."[1]

ومن سنة المصطفى ﷺ قوله: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[2]، وممّا يُستلهم من سيرة النبي ﷺ العطرة مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار إخاء كاملا مُستغرقا لأمر الدين والدنيا: "الإخاء الذي تمحى فيه كلمة «أنا»، ويتحرّك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، فلا يرى لنفسه كيانا دونها، ولا امتدادا إلا فيها. ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النّسب واللون والوطن، فلا يتأخّر أحد أو يتقدّم إلا بمروءته وتقواه."[3]

– أما التأديب بالحرمان الاجتماعي أو الهجر والمقاطعة، فهو أسلوب تربوي قُرآني فعّال، ومن نماذجه قصة المتخلفين عن تبوك، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا

---

[1] مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، ط 2001، ص 136.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، رقم: 2563، ج 04، 1985.

[3] فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط 01، 1927هـ، ص 190.

رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة:118)، وجاء في معناها وتصوير الألم النفسي الذي أصابهم:

"ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي: برحبها وسعتها، وذلك لإعراض الناس عنهم بالكلية، وهو مثل لشدة الحيرة، وضاقت عليهم أنفسهم من فرط الوحشة والغم، وظنوا أي: علموا أن لا ملجأ من الله أي: من سخطه إلا إليه أي: إلا إلى استغفاره والرجوع إليه، ثم تاب عليهم بالتوفيق بالتوبة، ليتوبوا بإظهارها والدوام عليها، وليعدوا من التوابين."[1]

– أمّا التأديب بسخط المجتمع وتعنيفه للمسيء، فمن نماذجه قصة الصحابي معاذ بن جبل وصلاته بالناس بسورة البقرة وشكوى الأعرابي إلى النبي ﷺ فقال له مؤدبا ومعنفا ومربيا:

«يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ» – أَوْ «أَفَاتِنٌ» – ثَلاَثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ».[2]

المبحث الرابع: أعلام الفكر التربوي في الإسلام

توطئة:

أسهم مجموعة من علماء الإسلام في بلورة الفكر التربوي في الإسلام وأسهموا فيه بحظ وافر من خلال ما خلفوه من آثار شكّلت مرجعا معرفيا للمهتمين بالشأن التربوي في عالمنا المعاصر، من القُدامى كابن سحنون– ابن سينا– ابن مسكويه– أبو حامد الغزالي، ومن المعاصرين محمد عبده– النورسي– الطاهر بن عاشور، وسنحاول أن نتوقف مع هؤلاء الأعلام مُستلهمين الملامح والمناحي التربوية في آثارهم، وبيان المنهج الذي ارتضوه لصياغة نظرية تربوية بنى عليها كثير من المعاصرين، فكان لهم فضل السبق والريادة.

---

[1] البحر المديد، مرجع سابق، ج 02، ص 437- 438.

[2] أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله، كتاب الذان، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ رقم: 705، ج 01، ص 142.

أولا: من أعلام الفكر التربوي القُدامى

1.محمد بن سحنون (202 هـ–256 هـ)

1.1.ترجمته:

جاء في ترجمته: "محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو عبد الله: فقيه مالكي مناظر، كثير التصانيف. من أهل القيروان. لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه. رحل إلى المشرق سنة 235 هـ وتوفي بالساحل، ونقل إلى القيران فدفن فيها. ورثي بثلاثمائة مرثية. كان كريم اليد، وجيها عند الملوك، عالي الهمة. من كتبه (آداب المعلمين – ط)."[1]

وفي شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: "الإمام ابن الإمام شيخ الإسلام وعلم الأعلام الفقيه الحافظ النظار مع الجلالة والثقة والعدالة ... لم يكن في عصره أحذق منه بفنون العلم، له تآليف كثيرة."[2]

وترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك، ومما جاء في ترجمته: "وكان عالماً بالذب عن مذهب أهل المدينة، عالماً بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه فيما علمت، قال ابن حارث: كان عالماً فقيهاً مبرزاً، منصرفاً في الفقه والنظر ومعرفة اختلاف الناس، والرد على أهل الأهواء، والذب عن مذهب مالك."[3]

يُعتبر محمد بن سحنون من فقهاء المالكية من أهل القيروان، من أبرز كتبه التي تضمنت آراءه التربوية كتابه **آداب المعلمين**، وقد نُشرالكتاب سنة 1929م بإشراف اللجنة التونسية لنشر المخطوطات. بتحقيق الباحث: حسن حُسني عبد الوهاب.

---

[1] الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002، ج 06، ص 204- 205.

[2] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، تحقيق:عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003، ج 01، ص 105.

[3] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق : عبد القادر الصحراوي، ط 01، 1970م، ج 04، ص 204.

2.1- الملمح التربوي في الكتاب:

يتجلى الملمح التربوي في الكتاب من خلال منهج مؤلفه فيه فقد بوبه إلى عشرة أبواب تُعتبر معالم الفكر التربوي عند الرجل، وهي: (ما جاء في تعليم القرآن- العدل بين الصبيان- ما يُكره محوه من ذكر الله- ما جاء في الختم- ما جاء في العطية- ما يُخلّى فيه الصبيان- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان- أُجرة المعلم- إجازة المصحف وكتب الفقه (الجائزة والعطية)- ما يجوز من العقاب وما لا يجوز).[1]

- أهمية الكتاب: كان لابن سحنون فضل السبق في التأليف في موضوع التربية الإسلامية، وهو أول كتاب في موضوعه (الفكر التربوي).

وقد اعتمد عليه من ألف بعده في الموضوع نفسه كالقابسي (324 هـ- 402 هـ) فقد كتب كتابا سماه (أحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين).

أما عن آرائه التربوية، فقد جاءت نظرته متناغمة مع البيئة الأسرية التي عاش فيها والمشرب الفقهي الذي ينتمي إليه: "ولقد جاء مفهوم ابن سحنون عن التربية متأثرا بغطار الفقه المالكي الذي ساهم في إرساء قواعده والده سحنون فقيه المغرب المشهور، كما قصره على تربية الأطفال والقواعد التي يلتزم بها من يُعلمهم، ونظر ابن سحنون إلى التربية على أنها عقد إيجار بين المعلم وأولياء الأمور، وطالب المعلم بالتزام شروط العقد كأن يساوي بين الصبيان في التعليم، وأن يتفرغ لهم أثناء ذلك فلا يتشاغل بعمل آخر."[2]

والأبواب العشرة التي تناولها ابن سحنون كان قد استخلصها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وإنما يرجع الفضل إليه في تبويبها وترتيبها، وكتابه عبارة عن أحاديث وآثار مسندة ألقاها على والده سحنون التوفى سنة (240 هـ)، والذي كان إماما في المذهب المالكي ببلاد المغرب، وقد جاء الباب الأول مُعنونا: (ما جاء في تعليم القرآن العزيز)، قال محمد بن سحنون: حدثني أبي سحنون عن عبد

---

[1] انظر محتوى الكتاب في: آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تحقيق: حسن حُسني عبد الوهاب، تونس 1972، ص 191.

[2] انظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، ص 113.

الله بن وهب عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».[1]

ويتجلّى المنهج التربوي عند ابن سحنون في الباب الثامن من الكتاب (ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان)، ويُمكن تلخيص ما جاء فيه بذكر المناحي التربوية المتمثّلة فيما يلي:

- عدم انشغال المعلم عن الصبية بما يشغله عنهم، حتى ولو لحضوره الجنائز وعيادة المرضى.
- تعليمهم الكتابة.
- عدم الضرب على الرأس والوجه.
- عدم منع الطعام والشراب عنهم.
- عدم انشغال المعلم بالكتابة والتأليف أثناء الدرس.
- تعليمهم الحساب والشعر والغريب والعربية وجميع النحو وإعراب القرآن والشكل والهجاء والخطّ الحسن والقراءة والتوقيف والترتيل والشعر وكلام العرب والقراءة الحسنة على مقرأ الإمام نافع.[2]

كما يتجلى المنهج التربوي عند ابن سحنون في حديثه عن الأساليب التي يتخذها المعلم في التلقين، ومنها:

- تعيين المعلم يوما لعرض القرآن الكريم.
- تعليمهم الخُطب.
- تعليمهم الأدب.
- اختيار وقت خاص للكتابة والمِلْيَ.

---

[1] أخرجه البخاري عن عثمان ﷺ بزيادة إن في أوله، كتاب فضائل القرآن الكريم، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: 5028، ج 06، ص 192.

[2] انظر: آداب المعلمين، ص 98 وما بعدها بتصرّف. وقد اختصرت ما ذكره ابن سحنون لطوله.

– عدم الانتقال بهم من سورة إلى سورة إلا بعد حفظها وإعرابها.[1]

وفي كتاب ابن سحنون لفتة منهجية وتربوية هامة، تُحيلنا على الدور التربوي والمعرفي الذي تقوم به الكتاتيب والمدارس فليست مكانا للقراءة والكتابة فحسب، بل هي مجالس لتعليم مبادىء الدين وغرس أركان الإيمان في نفوس الناشئة، يقول ابن سحنون: "وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر، وكذلك قال مالك، حدثنا عنه عبد الرحمن قال: قال مالك يُضربون عليها بنو عشر ويُفرّق بينهم في المضاجع، قلت الذكور والإناث؟ قال نعم."[2]

وقد أفاض ابن سحنون فيما يجب على المعلم تجاه الصبيان خصوصا ما تعلّق بالصلاة وواجباتها وسننها ومندوباتها مُستأنسا في ذلك كلّه برأي الإمام مالك[3]، مما يؤكد على النزعة الفقهية لدى محمد ابن سحنون وتأثيرها في المنهج التربوي عنده.

2.ابن مسكويه (000 – 412 هـ)

1.2– ترجمته:

أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي: مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. من كبار فضلاء العجم وأجلاء فارس لَهُ مشاركة حسنة فِي العلوم الأدبية، اشتغل بالفلسفة والْعُلُوم الْحكمِيَّة متميز فِيهَا خَبِير بصناعة الطِّبّ جيد فِي أُصُولهَا وفروعها كما برع في الكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتأريخ والأدب والإنشاء. وكان قيما على خزانة كتب ابن العميد، ثم كتب عضد الدولة ابن بويه، فلقب بالخازن، من مؤلفاته: تجارب الأمم وتعاقب الهمم – تهذيب الأخلاق وتطهير

---

[1] انظر: آداب المعلمين، مرجع سابق، ص 104 وما بعدها بتصرّف. وانظر أيضا: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، ص 113 وما بعدها بتصرف.

[2] آداب المعلمين، مرجع سابق، ص 109.

[3] آداب المعلمين، مرجع سابق، ص 112 وما بعدها بتصرف.

الأعراق- الفوز الأصغر- ترتيب السعادات- رسالة في ماهية العدل- الأدوية المفردة- كتاب الأشربة، عاش ابن مسكويه وعمّر طويلا إلى أن توفي سنة 412 هـ.[1]

2.2- المنحى التأليفي عند ابن مسكويه :

أبرز مؤلفات ابن مسكويه في الدرس الأخلاقي كتابان هما: "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"- "الفوز الأصغر"، ويُعتبر منحى التأليف عنده منحى انتخابي انفتاحي على جميع المدارس والاتجاهات، خصوصا المرحلة التي شهدها عصره بعد حركة الترجمة ونقل التراث الإنساني إلى الحضارة الإسلامية، خصوصا التجربة الفلسفية الإسكندرانية واليونانية، التي أثرت بشكل كبير في الفلسفة التربوية الإسلامية في هذه المرحلة.

3.2- الدرس الأخلاقي في كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:

أ- بنية الكتاب:

يتكون كتاب تهذيب الأخلاق من سبع مقالات وهي: في النفس- الخُلق- الخير والسعادة- العدالة- المحبة والصداقة- الأمراض النفسية- علاج النفس.

ب- دواعي تأليف الكتاب:

قال ابن مسكويه في مقدمة كتابه: "غرضُنا في هذا الكتاب أن نحصّل لأنفسنا خُلُقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كُلفة فيها ولا مشقّة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي، والطريق في ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ماهي وأي شيء هي ولأي شيء أُوجدت فينا، أعني كمالها وغايتها، وما قواها وملكاتها التي إن استعملنها على ما ينبغي بلغنا بها هذه المرتبة العلية، وما الأشياء العائقة لنا عنها (مرتبة الكمال)، وما الذي يزكيها فتفلح وما الذي يُدسيها

---

[1] انظر ترجمته في: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2005، ص 247. وانظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668هـ)، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص 331. وانظر أيضا: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط 15، 2002، ج 01، ص 211.

فتخيب، فإنه عزّ من قائل يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7-8-9-10)."[1]

وعلى هذا حاول ابن مسكويه إرساء مشروع تربوي يهدف إلى تقويم سلوك الإنسان وحمله على الفضائل وسوقه نحو الكمالات، فهي رؤية تربوية تقوم على القيم والأخلاق، لذا تُستشفّ هذه الرؤية من تعريفه للخُلق في كتابه بقوله: "الخُلُق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا."[2]

تناول ابن مسكويه هذا التعريف تحت مبحث (الخُلق وتهذيبه، الكمال الإنساني وسبيله)، ويناقش ابن مسكويه اختلاف الحكماء فيمن كان له خلق طبيعي (أخلاق الفطرة) هل ينتقل إلى غيره(الأخلاق المكتسبة)، واختار ابن مسكويه الرأي القائل بالانتقال إلى كسب الأخلاق والفضائل، لأن الاكتفاء بما هو طبيعي يؤدي إلى بطلان قوة التمييز والعقل، وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا هملا، وإلى ترك الأحداث والصبيان دون رعاية ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة على حدّ رأيه.[3]

ب– في تربية الصبيان:

---

[1] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد + بيروت، ط 01، 2011، ص 233.

[2] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مرجع سابق، ص 265.

[3] انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المرجع نفسُه، ص 265 بتصرف.

يتجلى الدرس التربوي عند ابن مسكويه من خلال المسار الزمني للعملية التربوية التي تقوم على المرحليّة والسُلّمية، فقد دعا إلى العناية بالأحداث والصبيان الذين يُشاهد فيهم الحرص على الآداب وتعلمها عيانا، فأخلاقهم تظهر منذ نشأتهم ولا يُمكنهم سترها بفكر ولا رويّة، وهم في ذلك متفاوتون، فباستقراء سلوكاتهم تظهر الفروقات الفردية بينهم: "وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه أو ما يظهر في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء كذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرخمة والقسوة والحسد وضده ومن الأحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الإنسان في قبول الأخلاق الفاضلة، وتعلم معه أنهم ليسوا على رتبة واحدة وأن فيهم المتواني والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير. والمتوسطون بين هذه الأطراف."[1]

وهذه لفتة منهجية هامة من ابن مسكويه في ضرورة الوقوف على الفروق الفردية بين المتعلمين، لأن ما يُغرس في الطباع يقوم عليها ما بعدها وإهمال هذه الخصائص والميزات إهدار لكفاءات وتوجيه سيء للطاقات، بل قد يؤدي ذلك على قول ابن مسكويه إلى نقيض المقصود. فينشأ الصبيان نشأة مشوهة.

جـ- منهج العلاج النفسي (الروحاني) عند ابن مسكويه:

مادامت النفوس متباينة وضع ابن مسكويه قانونا للعلاج النفسي ويتمثل فيما يلي:

- النظر في النفس الإنسانية وقواها التي تحدث فينا أيها أسبق إلينا وجودا فنبدأ بتقويمها، ومثاله:

1- البدء بتقويم الشوق الذي يصلنا بالغذاء وتقويمه (شوق النفس إلى الطعام والشراب)، فشوق النفس إليها طبيعي، يُمكن للإنسان أن يقوم هذا الشوق ويجعل نفسه مشتاقة للعلوم والمعارف والحكمة.

2- تقويم الشوق الذي يصلنا بالغضب وتقويمه.

---

[1] تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص 269.

3– تقويم شوقنا الذي يصلنا بالمعارف، ويمثل ابن مسكويه لهذا التدرج في علاج النفس بخلق بالمرحلية في خلق الإنسان أجنة ثم أطفالا ثم أناسا كاملين.[1]

د– المنهج التربوي عند ابن مسكويه (تربية الصبيان نموذجا):

يُشير ابن مسكويه إلى بعض الملامح التربوية المتعلقة بالصبيان والولدان، منبها إلى ما ينشأ عليه الولدان في الصغر مع بيان إمكانية إصلاحها وتهذيبها: "وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب أن تهمل ولا تترك، ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة. وإن كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة فإن نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء إلى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها. فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال وبلزوم سننه ووظائفه. ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه."[2]

هـ– عناصر العملية التربوية عند ابن مسكويه:

يرى ابن مسكويه أن التربية عملية تشكيل جديد للإنسان من أجل تكييف ذاته مع الوسط الذي يعيش فيه ويتحرك، لذا وضع ابن مسكويه مجموعة من الشروط لزم بها المربي، ومنها:

1– أن يكون المربي مدركا لطبيعة وأبعاد العمل الذي يقوم به ويكون ذلك بطريقين، أحدهما: تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية، ثانيهما: تسديد الناشئة نحو الصناعات والأعمال الحسية، ولهذا الطريق ثمرة ونتيجة تتمثل في: إمكانية السيطرة على الوسط الطبيعي والاجتماعي، والمساهمة في تغيير الوسط الطبيعي وخلق بيئة جديدة عن طريق التمكن من الصناعات.

---

[1] انظر: تهذيب الأخلاق، المرجع نفسُه، ص 269.

[2] تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص 289.

2– معارضة الرهبنة والتصوف.

3– الاهتمام بالمتعلم بفهم طبيعته البيولوجية والسيكولوجية، يقول ابن مسكويه في هذا: "وهذه الآداب النافعة للصبيان هي للكبار من الناس أيضا نافعة ولكنها للأحداث أنفع، لأنها تعودهم محبة الفضائل وينشأون عليها فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة. ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم إليه من الذات القبيحة وتكفهم عن الإنهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها. وتسوقهم إلى مرتبة الفلسفة العالية، وترقيهم إلى معالي الأمور التي وصفناها في أول الكتاب من التقرب إلى الله عز وجل ومجاورة الملائكة."[1]

4– العناية بالوسط الطبيعي والاجتماعي: أولى ابن مسكويه الوسط الطبيعي عناية خاصة والمقصود به في نظره (كل ما يحيط بالإنسان من مجودات– حيوان– نبات– جماد) وهو ما يتطلب توظيف علوم لفهمه وتكييفه (رياضيات– حساب– هندسة) مع ضرورة العناية بالوسط الاجتماعي عن طريق معرفة العلاقة بين الأفراد.[2]

5– التأكيد على دور المربي (المعلم): وظيفة المعلم عند ابن مسكويه ذات طبيعتين هدمية بإزالة الطباع السيئة وبنائية عن طريق تعليم الآداب والفضائل، لذا فإعداد المربي مُقدم في العملية التربوية.

6– الطب النفساني في العملية التربوية: يؤكد ابن مسكويه في ختام كتابه تهذيب الأخلاق على ضرورة العناية بباطن الإنسان ويجعله على صورة الطب الروحاني، فكما أن للبدن أمراضا فللنفس أمراض وعلل أيضا.[3]

وفي كتابه الفوز الأصغر ملامح تربوية هامة، إذ قسم ابن مسكويه كتابه إلى ثلاثة مسائل:

---

[1] تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص 294.

[2] تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص 402 وما بعدها بتصرف.

[3] انظر مقدمة عماد الهلالي على كتاب تهذيب الأخلاق في مبحث مكانة التربية في فكر مسكويه –كتاب تهذيب الأخلاق نموذجا، تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص 202 وما بعدها بتصرف.

أولها في إثبات الصانع، وثانيها في النفس وأحوالها، وثالثها في النبوة ومتعلقاتها.[1]

وقد تناول ابن مسكويه في المسألة الثانية ما يتعلق بالنفس وجعله في عشرة فصول، وجاء الفصل الثامن والتاسع متضمنا لآرائه التربوية، ففي الثامن في أن للنفس حالا من الكمال يُسمى سعادة وآخر من النقصان يُسمى شقاوة، ومما جاء فيه كملمح تربوي: "فيحقّ على من أزاح الله علته وشقّ بصره أي بصيرته أن يقوي عزيمته على ما يسوقه إلى سعادته وحياته الأبدية بالقرب من باريه تعالى وتنزّه أن يقمع شهواته ويردع نفسه بما وهب له من العقل عمّا يحطها إلى المهواة المؤذية، أعني الميل إلى الدنيا ودواعيها التي تُرديه وتُميته وتُشقيه بالبعد من باريه وتنكّسه في الخلق وتحصله على العذاب الأليم."[2]

وهذه الرؤية التربوية والتزكوية دعوة لتهذيب النفس وتحصيل كمالاتها بالاقتراب من دوحة الحقّ تحققا وتخلّقا، وليست دعوة للرهبنة والزهد وترك الدنيا، بل يعتبر ابن مسكويه أن هذا الضرب من الفهم هو الجور بعينه، فالمدنية ظاهرة في الكون في الأناسي والحيوان والطير، يقول ابن مسكويه دافعا الوهم: "فأما من ذهب إلى التزهد وحرّم المكاسب فإنه يضطر إلى استعمال الجور لأنه يستنجد بالناس لا محالة في ضرورات بدنه وحاجاته إلى ما يُقيمه ويطلب معاونتهم ثم لا يُعاونهم، فهذا هو الظلم والعدوان."[3]، وفي هذا المعنى اللطيف الذي أشار إليه ابن مسكويه تأكيد على المضمون الاجتماعي للتربية، وكونها ثمرة تظافر جهود ومؤسسات مختلفة لإعداد الناشئة، وأي صورة من صور العزلة والانقطاع والرهبنة هي مرفوضة ولا يُعوّل عليها. فالتربية مشروع لإعداد الناشئة وبناء المجتمعات وإقامة العمران، وليست ترفا أو نشوة روحية عابرة.

وفي الفصل التاسع في كتاب الفوز الأصغر حديث عن تحصيل السعادة وذكرها، والحضّ عليها وبيان السبيل التي تؤدي إليها، ومن جملة ما جاء فيه في بيان طرائق السعادة وتحصيلها: "إن تحصيل

---

[1] انظر فهرس الفوز الأصغر، الفوز الأصغر، ابن مسكويه، طبعة بيروت، 1319هـ، ص أ وما بعدها.

[2] الفوز الأصغر، مرجع سابق، ص 62-61.

[3] الفوز الأصغر، مرجع سابق، ص 64.

السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة، وللحكمة جزآن نظري وعملي، فبالنظري يُمكن تحصيل الآراء الصحيحة، وبالعملي يُمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة، وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء- صلوات الله عليهم- ليحملوا الناس عليها، وهم أطباء النفوس يُعالجونها من أسقام الجهالة بالأدب الحقّ لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والأعمال النافعة ويُطالبونهم بالاستسلام لها بعد إقامة الحجة عليهم بالمعجزات."[1]

وهذا الذي ذكره ابن مسكويه مُقتبس من مشكواة الوحي، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:02)، فجمعت هذه الآية مقاصد النبوة المتمثلة في توحيد الله والتزكية والدعوة لطلب العلم والحكمة.

3.أبو علي بن سينا (370هـ-428هـ):

1.3- ترجمته:

هو أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم بها، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق وتوفي بها، قال ابن أبي أصيبعة: كَانَ أشهر من أَن يذكر وفضائله أظهر من أَن تُسَطّر.[2]

2.3- آثاره:

---

[1] الفوز الأصغر، مرجع سابق، ص 66.

[2] انظر ترجمته في كل من: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 02، ص241. وانظر: عيون الأأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص 437. وانظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، مرجع سابق، ص 303.

ترك ابن سينا آثارا جمّة تدلّ على سعة علمه ونبوغه في مختلف العلوم والفنون، من طب وفلسفة وحكمة وغيرها، قال عنه ابن تيمية: "تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم."[1]

ومن مؤلفاته: القانون في الطب- الشفاء- الإشارات والتنبيهات-كتاب النجاة- حي بن يقظان، وغيرها كثير جدا.

3.3- آراؤه التربوية:

عرض ابن سينا آراءه التربويه في رسالته في السياسة، خصص جانبا منها في تربية الصبيان والولدان وطريقة إعدادهم ومراعاة ميولهم، وقد ذكر في مقدمة رسالته وجوب السياسة، وهي منوطة بالحاكم والساسة ثم الذين يلونهم، وهكذا من الأعلى إلى الأدنى باعتبار السياسة هي فنّ تدبير المملكة، ومملكة الحاكم رعيته، ومملكة الرجل أسرته ومن يعولهم، وهو ما بيّنه حديث النبي ﷺ :

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».[2]

لذا كان التدرج وتوزيع المسؤوليات منهجا تربويا يجعل الجميع مُشاركا في الفعل التربوي مؤديا للدور المنوط به، فالعناية بالصبيان لا تقلّ شأنا عن رعاية الراعي لرعيته، يقول ابن سينا: "ويحتاج أصغرهم شأنا وأخفهم ظهرا وأرقهم حالا وأضيقهم عطنا وأقلهم عددا من حسن السياسة والتدبير

---

[1] نقلا عن الأعلام للزركلي، ج 02، ص 241.

[2] أخرجه البخاري عن ابن عمر،كتاب الجمعة، بَابُ الجُمُعَةِ فِي القُرَى وَالمُدُنِ رقم: 893. صحيح البخاري، مرجع سابق، ج 02، ص 05.

ومن كثرة التفكير والتقدير ومن قلة الإغفال والإهمال ومن الإنكار والتأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم إلى جميع ما يحتاج إليه الملك الأعظم."[1]

وآراء ابن سينا التربوية مبثوثة في رسالته متنوعة شاملة للراعي والرعيّة، لكننا سنكتفي بعرض آرائه ابن سينا التربوية من خلال تسليط الضوء على ما يتعلّق بتربية الصبيان والولدان، في الباب الذي أعده ابن سينا لذلك وجاء معنونا بِـ (باب في سياسة الرجل ولده)، وبيان أهم ما جاء فيها من خلال رسالته مع مُراعاة مراحل النمو، حتى نرسم صورة عن الملامح التربوية في فكره.

– **المرحلة01: من المولد إلى الفطام** : ويتم فيها مراعاة ما يلي في تربية الولدان والصبيان:

– إن من حقّ الولد على والديه إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ورهاء ولا ذات عاهة فإن اللبن بعدي كما قيل.[2] فحسن اختيار اسم الصبي له تأثير على نفسه وسلوكه، والاسم الحسن يُوحي في عقله الباطن بالسلوك الإيجابي، والمرضعة لها تأثير مباشر على الصبي، وفي هذا المعنى يقول شوقي شعرا

وإذا النساء نشأن في أميّة رضع الرجال جهالة وخمولا[3]

وهو ما عبر عنه ابن سينا بقوله: (اللبن بعدي)، وهو إشارة إلى أثره فيما بعد، لذا كان من عادة العرب التماس المراضع لأبنائهم في البوادي، وخير دليل على ذلك قصة النبي ﷺ ورضاع حليمة السعدية له، وهي من القصص المشهورة في السيرة النبوية.

– **المرحلة 02: مرحلة النمو بعد الفطام**: ويتم فيها:

---

[1] رسالة ضمن «مجموع في السياسة، أبو علي بن سينا، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط 01، بدون تاريخ، ص 83.

[2] رسالة ضمن «مجموع في السياسة، مرجع سابق، ص 101.، والظئر: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والإبل.انظر: لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج 04، ص 514. والورهاء: الخرقاء، لسان العرب، ج 13، ص 560.

[3] البيت لأحمد شوقي.

– تأديبه ورياضة أخلاقه باللطف وتجنيبه معايب العادات بالترهيب والترغيب والإيناس والإيحاش بالحمد مرة وبالتوبيخ مرة أخرى.

– الاستعانة بالتوجيه باليد بشرط أن يكون الضرب غير موجع، فالضربة الأولى الموجعة يسوء بها ظن الصبي ويشتد خوفه، وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به.[1]

– **المرحلة 03: مرحلة النطق واستواء اللسان والمفاصل**: وتُسمى مرحلة التلقين ويتم فيها:

– تعليمه القرآن الكريم وحروف الهجاء.

– تلقينه معالم الدين وأحكامه.

– تحفيظه الشعر المتضمن للأدب وذم الجهل والدعوة إلى بر الوالدين وإكرام الضيف.

– اختيار مؤدب للصبي ومن مواصفاته أن يكون عاقلا ذا دين حاذقا وقويا ورزينا وعارفا بآداب المجالسة والمؤاكلة والمحادثة.

– اختيار رفيق له فيكون مع الصبي صبية من عائلة محمودة عاداتها حتى يأنس ويطرد عنه الملل في مجلس المؤدب وهو أبعث على النشاط.

– محادثة الصبي حتى تتغذى عقولهم وتُحلّ عقدُ الفهم لديهم.[2]

– **المرحلة 04: مرحلة الإعداد المهني**: وفيها يتم ما يلي:

قدّم ابن سينا إشارات تربوية هامة متعلقة بمعرفة اهتمامات الصبيّ وكفاءاته ومحاولة تنميتها وتوجيهه إلى ما يُحسنه، ومن جملة ما ذكره ابن سينا في هذا الباب:

– توجيه الصبي إلى صناعة توافق طبعه وميله فإن أريد به صناعة الكتابة ودب تدريبه على الرسائل والخطب، ويُشترط لذلك معرفة قريحة الصبي واختبار ذكائه وميله.

---

[1] انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة، مرجع سابق، ص 101.

[2] انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة، مرجع سابق، ص 102.

– توجيهه إلى التكسب بصناعته بعد أن تظهر مهارته فيها وهو ما يحقق فائدتين **أولاهما:** إذا ذاق حلاوة كسبه كان ذلك باعثا له على إتقان حرفته، **وثانيهما:** الاعتياد على طلب المعيشة وعدم الاتكال على أبيه. وهو ما يوفر له النضج وتدبير شؤونه.[1]

4.أهمية المؤدب والمربي في فكر ابن سينا:

يُعتبر المربي محورا رئيسا في العملية التربوية، لذا دعا ابن سينا إلى العناية باختيار المربين والمؤدبين للصبية، واشترط مجموعة من الشروط وجب توفّرها فيه، ومنها:" أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا من الخفة والسخف، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كز ولا جامد بل حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة، قد خدم سراة الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعايرون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة."[2]

وهذه الشروط المذكورة آنفا تجمع بين أخلاق الظاهر والباطن يُضاف إليها اشتراط معرفة المؤدب بأخلاق الناس، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بمجالسة ومثاقفة وهي مثمرة لمعرفة معادن الناس وخبر التجارب، وهذا ما يُستثمر في تأديب الصبيان وتجنيبهم ما يُكره من الخصال والفعال.

4.أبو حامد الغزالي (450 هـ– 505 هـ)

1.4– ترجمته:

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام ومحجة الدين ولد بطوس سنة 450 هـ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، قرأ في صباه طرفا من

---

[1] انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة، مرجع سابق، ص 104 وما بعدها بتصرف.

[2] انظر: رسالة ضمن «مجموع في السياسة، مرجع سابق، ص 102 وما بعدها بتصرف.

الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي وعلق عنه التعليقة، ثم رجع إلى طوس، ثم إن الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك، قدم بغداد في سنة 484هـ، ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة وأحبوه، وأقام على التدريس وتدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف دخل دمشق في سنة 589 هـ، فلبث بها مدة، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع وبها كانت إقامته. ثم رجع إلى مدينة طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات إلى وفاته سنة 505 هـ.[1]

2.4- مؤلفاته:

ترك الغزالي تصانيف عديدة في المعقول والمنقول كثيرة جدا تنبيء عن تبحره في علوم الشريعة وتفوقه في الفلسفة والمنطق مع قدم راسخة في الطريق إلى الله، ومن أبرز مؤلفاته التي يتجلى فيها فكره التربوي: إحياء علوم الدين- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال- ميزان العمل- الرسائل.

كان للعصر الذي عاش فيه أبو حامد الغزالي والممتد ما بين (450 هـ- 505 هـ) فرصة له للاستفادة من الخبرات التي سبقته في العقائد والفقه والتفسير والتصوف، ففي فكره التربوي كان الغزالي ناقلا عن ابن مسكويه وأبي طالب المكي والمحاسبي مع تأثره بالفكر اليوناني (أفلاطون) خصوصا، ومن ثم جاء فكره التربوي انعكاسا لآرائه الفلسفية والصوفية، لذا كانت التربية عند أبي حامد الغزالي مساعدة الفرد على التقرب إلى الله.

---

[1] انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي + عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 02، 1413هـ، ج 06، ص 191 وما بعدها بتصرف. وانظر أيضا: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج 07، ص 22.

3.4- الأخلاق عند الغزالي:

تقوم الأخلاق عند الغزالي على أساس صوفي، وقد أطلق عليها أسماء متعددة كعلم طريق الآخرة ومعاملة الدين وأخلاق الأبرار، وعلم الأخلاق عنده علم معاملة لا علم مكاشفة، لأنه يبحث في الأعمال وما ينبغي أن يفعله الإنسان ليكون سلوكه موافقا للشريعة، يقول الغزالي في كتابه الإحياء: "وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرأة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم."[1]

وقد كان لتجربة الغزالي الصوفية التي بثّها في ثنايا مؤلَّفه المنقذ من الضلال أثرا كبيرا على فكره التربوي، أو رؤاه التربوية، لذا كانت رؤيته التربوية مزيجا بين المعرفة- العلم - والعمل، فالعلم وحده لا يُعول عليه عند الغزالي، قال في ميزان العمل: "فإن قلت: فكم طالب رديء الأخلاق، حصّل العلوم؟ فما أبعدك عن فهم العلم الحقيقي الديني، الجالب للسعادة، فما يحصّله صاحب الأخلاق الردية حديث ينظمه بلسانه مرة، وبقلبه أخرى، وكلام يردده، ولو ظهر نور العلم على قلبه، لحسنت أخلاقه، فإن أقل درجات العلم أن يعرف أن المعاصي سموم مهلكة، مبطلة للحياة الأبدية، فإن منشأها الصفات الردية."[2]

4.4- طرق تقويم السلوك واكتساب الفضائل عند الغزالي:

سلك الغزالي مسلك المتصوفة، إذ يرى أن طريق اكتساب الأخلاق يكون بالمجاهدة وتعويد النفس على فعل الضد، فالرذائل تُعالج بضدها، فالبخل يُعالج بالسخاء والجهل بالتعلم، والأخلاق عنده قابلة للتغيير عن طريق تزكية النفس وتهذيبها، فالخلق يمكن تغييره، لذا عاب أبو حامد الغزالي في كتابه ميزان العمل على الذين ركنوا إلى الدعة راضين بما هم ظنا منهم أن الخُلُق لا يمكن تغييره، فقال في ميزان العمل:

---

[1] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج 01، ص20.

[2] ميزان العمل، أبو حامد تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 01، 1964، ص 343.

"لقد ظنّ بعض المائلين إلى البطالة أن الخُلق كالخَلق، فلا يقبل التغيير. والتفت إلى قوله عليه ﷺ: « فرغ الله من الخَلق »[1] وظن أن المطمع في تغيير الخُلق، طمع في تغيير خَلق الله عزّ وجل، وذهل عن قوله ﷺ: «حسّنوا أخلاقكم»[2]، وإن ذلك لو لم يكن ممكناً، لما أمر به، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب."[3]

وعلى هذا فمنهج تغيير الخُلق يكون بالدربة والرياضة وتزكية النفس وحملها على الفضائل ومكارم الأخلاق.

5.4- منهج الغزالي في تربية الناشئة:

عقد الغزالي في كتابه الإحياء فصلا خاصا بتربية الولدان جاء معنونا بِـ (بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)، فيُعتبر الطفل في نظر الغزالي جوهرة نفيسة ساذجة أمكن توجيهه بمختلف الصور لذا وجب العناية به منذ الصغر بالتركيز على ما يلي:

- تنشئته على محاسن الأخلاق وحفظه من قرناء السوء.
- البعد به عن أسباب الرفاهية.
- تعويده على اللباس المحتشم ومنعه من النوم نهارا وتعويده على الحركة والرياضة.
- تربيته على محاسن العادات.

---

[1] جزء من حديث « لما فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » . أخرجه أحمد 2 في مسنده /397 (9148) و"النَّسائي" في "الكبرى" 7704. انظر: المسند الجامع ،تحقيق: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1993 م ، ج 18، ص 314.

[2] أخرجه أَبُو بكر بن بلال فِي مَكَارِم الْأَخْلَاق من حَدِيث معَاذ «يَا معَاذ حسن خلقك للنَّاس» مُنْقَطع وَرِجَاله ثِقَات. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان ،ط 01، 2005 م، ص 937.

[3] ميزان العمل، مرجع سابق، ص 247.

– تعويده على آداب الأكل والجلوس والمشي والكلام.[1]

– الإعداد العلمي للصبي (التربية العلمية): وفيها ركز الغزالي على أمور مهمة منها:

- البدء في تعليم الصبي في صغره.
- مراعاة طبيعة الصبي من طرف المعلم ومعرفة نفسياتهم.
- التدرج في التعليم والانتقال من السهل إلى الصعب.
- الترويح عن الصبي عن طريق اللعب، لما فيه من فائدة نفسية وجسمية وأبعاد اجتماعية، منها أن منع الصبي من اللعب يُميت قلبه ويبطل ذكاءَه.[2]

6.4– آداب المعلم عند الغزالي:

يُعتبر المعلم ركنا في العملية التربوية، لذا اشترط الغزالي مجموعة من الشروط الواجب توفرها فيه، وهي:

- الاتصاف بالشفقة والرحمة.
- اعتماد البرهان والتوجيه وتجنب الضرب.
- مخاطبة الناشئة على قدر عقولهم.
- القدوة الحسنة قولا وفعلا وحالا.
- حمل الناشئة على الآداب.
- ألا يطلب على علمه أجرا.[3]

5.عبد الرحمن بن خلدون (732 هـ – 832 هـ)

1.5– ترجمته:

---

[1] انظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 03، ص 72.

[2] انظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 03، ص 73بتصرف.

[3] انظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج 03، ص 73بتصرف. وانظر أيضا بيان وظائف المعلم، ميزان العمل، مرجع سابق، ص 341.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده بتونس سنة 732هـ وبها نشأ. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.وتوفي في القاهرة سنة 808 هـ.[1]

2.5– مؤلفاته:

ترك ابن خلدون تراثا لا بأس به، ومن أهم ما خلّفه: المقدمة– العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر– التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا– شفاء السائل لتهذيب المسائل– شرح البردة– رسالة في المنطق–كتاب في الحساب.

3.5– ملامح الفكر التربوي عند ابن خلدون :

يتجلّى الفكر التربوي عند ابن خلدون من خلال عنايته بالعلوم وبيان دورها، كما يرتبط التعليم عنده بالعمران، فالتعليم من مميزات وخصائص العمران البشري، فالإنسان يمتاز بالفكر والفكر بذرة العلوم، ولما كان الإنسان كائنا اجتماعيا بطبعه كان لا يفتر عن تحصيل معاشه مما يدفعه للتعاون مع بني جنسه وتحصيل معاشه، وهذا عامل مهم في نشأة الصنائع والعلوم في العمران، لذا كان حريصا على تحصيل علوم من سبقه وتشوق نفسه للإحاطة بالمعارف المجهولة وهذه تستدعي وجود التعليم وتنظيم مؤسساته.[2]

---

[1] الأعلام، خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج 03، ص 329.

[2] تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 226.

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا في بيان أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، وقد وضع مجموعة من القواعد التعليميّة التي تعين على التعلم وسرعة الفهم وتُسهم في إرساء فكر تربوي يهدف لإعداد الناشئة، ومنها:

– **ترك الفكر على سجيته:** لأنه طبيعة فطرية في البشر، أي الابتعاد عن وضع المقدمات المنطقية لأن الإنسان مفكر بطبعه، وفي هذا يقول ابن خلدون في الفصل السادس والثلاثين، والذي جاء عنوانه دالا على مضمونه (في أن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل): "اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم و الوقوف على غاياته كثرة التآليف و اختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك. و حينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها و مراعاة طرقها. ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور و لابد دون رتبة التحصيل. و يمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلا و ما كتب عليها من الشروحات الفقهية."[1]

– **تجنّب المُختصرات المؤلفة في العلوم لكونها مخلة بالتعليم:** وهذه القاعدة هي الفصل السابع والثلاثين من المقدمة، وهي عادة يلجأ إليها أهل الفنون والعلوم رغبة منهم في إحاطة المتعلّم بقواعد هذا الفنّ والعلم، لكنها على رأي ابن خلدون لها آثار سيئة وثمار سلبية على المتعلمين، ويعلل ابن خلدون هذا بأنّ سعي أهل العلم – بمختصراتهم- يجعلهم يحصرون مسائله وأدلته ويوقعهم ذلك في الحشو الكثير، وهو مخلّ بالبلاغة والاختصار، مما يجعله عسير الفهم على المتعلمين، ويقدم ابن خلدون مثالا باختصار الكتب المطولة في التفسير كما فعل ابن الحاجب في الفقه.[2]

وهذا الذي ذكره ابن خلدون أشار إليه صاحب كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، وهو يؤرخ للأدوار والأطوار التي مرّ بها علم الفقه، حتى وصل إلى مرحلة الهرم الشيخوخة مع عصر

---

[1] المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار يعرب، دمشق ط 01،2004، ج 02، ص 344.

[2] المقدمة، ابن خلدون، ج 02، ص 346.

ابن الحاجب وابن عرفة، وقد ذكر كلاما لطيفا، مختصره أنّ هؤلاء السادة قضوا على الفقه بشغل أفكار تلاميذهم بحلّ الرموز التي عقدوها، فجنُّت أفكارهم وتخدرت أنظارهم بسبب هذا الاختصار وترك الناس النظر في أصول الوحي، وأقبلوا على حلّ تلك الرموز التي لا غاية لها ولا نهاية، وضاعت الجهود في الشروح، والتحشيات وغدت تآليفهم مختصرة معقدة لا تفهم إلا بشروح، وأضحت هي بدورها محتاجة لشروح وحواشي.[1]

وهذا الذي ذكره الحجوي مأزق منهجي هامّ وجب الوقوف عنده ومعرفة أسبابه وينابيعه والسعي إلى إصلاحه بتجديد الخطاب الفقهي لكونه مهتما بعرض الشرائع وقواعد الدين، وهذه الأخيرة تُبنى على الوضوح واليُسر ورفع الحرج عن الأفهام والأجسام والأنفس، لذا نجد الحجوي- رحمه الله- يُبيّن في نصّ عميق جدا التنزيلات السيئة لما آل إليه الدرس الفقهي، على مُستوى الفكر والواقع، فيقول في عبارات تُكتب بماء الذهب: "أحاطوا بستان الفقه بحيطان شاهقة، ثم بأسلاك شائكة، ووضعوه فوق جبل وعر بعدما صيروه غثا، وألقوا العثرات في طريق ارتقائه، والتمتع بأفيائه، حتى يظن الظان أن قصدهم الوحيد جعل الفقه حكرة بيد المحتكرين، ليكون وقفا على قوم من المعممين، وأن ليس القصد منه العمل بأوامره ونواهيه وبذله لكل الناس، وتسهيله على طالبيه، بل القصد قصره على قوم مخصوصين، ليكون حرفة عزيزة، وعينا من عيون الرزق غزيرة، وحاشاهم أن يقصدوا شيئا من هذا لأنه ضلال في الدين، وإنما حصل من دون قصد."[2]

وهذا هو الذي نبّه إليه ابن خلدون في مُقدمته، وحذّر القائمين على شأن التعليم منه، ويبين ابن خلدون مساوئ هذا المنهج قائلا: "فيه إخلال بالتحصيل و ذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد و هو من سوء التعليم كما سيأتي، ثم فيه مع ذلك

---

[1] انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1995، ج 02، ص 451.

[2] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ج 02، ص 451.

شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها و صعوبة استخراج المسائل من بينها."[1]

– **مراعاة الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته:** وهذا الملمح التربوي عند ابن خلدون هو عنوان الفصل الثامن والثلاثين، دعا ابن خلدون من خلاله إلى تتبع منهج محدد في التربية والتعليم يقوم على مجموعة أسس، منها:

– **التدرّج في التلقين:** وذلك بإلقاء المعلم مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب على المتعلم، مع شرح يُراعي قوة عقل المتعلم واستعداده حتى ينتهي إلى آخر الفن، وهو يُثمر ملكة لدى المتعلّم.[2]

– **معرفة أثر المجتمع والمستوى الحضاري على واقع التعليم:** بالوقوف على ما يرافقها من مفاهيم اجتماعية تساعد على تطور أساليب التعليم (أي معرفة البيئة الاجتماعية التي تسهم في رصد كل ما من شأنه أن يعين على فهم طبيعة الأفراد).[3]

– **معرفة أثر نوع العلم المدروس في التعلم والتعليم:** فالعلوم نوعان، علوم مقصودة لذاتها كعلوم القرآن، وعلوم تعتبر وسيلة لفهم ما هو مقصود لذاته كعلم اللغة والمنطق والرياضيات، لذا وجب التوسع في العلوم المقصودة لذاتها وتفريع المسائل فيها واكتشاف الأدلة، فهذا يزيد التعلم تمكنا منها، أما العلوم التي هي وسيلة فيجب ألا يوسع الكلام فيها وتُفرّع مسائلها وهذا مضر بالتعلم.[4]

وهذا الذي ذهب إليه ابن خلدون أدرجه في الفصل التاسع والثلاثين من المقدمة، والذي جاء مُعنونا بِـــ (في أن العلوم الإلهية لا توسع فيها الأنظار و لا تفرع المسائل)، ومثاله صنيع المتأخرين بعلم

---

[1] المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق ج 02، ص 346.

[2] المقدمة، ابن خلدون، المرجع نفسُه، ج 02، ص 346.

[3] انظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 226 بتصرف.

[4] المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق ج 02، ص 351 بتصرف.

أصول الفقه والمنطق والنحو، حيث أكثروا التفريعات فيها مما أبعدها عن مقصودها بكونها وسيلة لفهم القسم الأول من العلوم، وهذا ما يجعل الناشئة تضيع أعمارهم في الوسائل دون الظفر بالغايات على قول ابن خلدون.

– **أهمية الاستعداد:** والمقصود به استعداد المعلم ليكون معلما والمتعلم ليكون طالبا، فالاستعداد مُعين على التفنن في العلم والإجادة فيه وتحصيل الملكات المختلفة مما يُمكن المتعلم من الإحاطة بقواعد العلم.

أما المعلم فهو باعث له على إتقان صنعته ومهارته فيها.[1]، وهذا الذي ذكرناه من قبل مع ابن سحنون وابن سينا وابن مسكويه، وهو ملمح تربوي هام، تجدر العناية به، وهو متوقف على معرفة بطبائع المتعلّمين ومعرفة مواهبهم وكفاءاتهم والعمل على صقلها وتنميتها.

– **اعتماد المعلم كتابا واحدا في فنّ معين:** دون أن يخلطه بغيره حتى يعيَه المتعلم إلى نهايته، ويكون لديه ملكة تساعده على فهم غيره لأن الخلط يؤدي إلى العجز في الفهم وكلال في النشاط وانطماس في البصيرة ويأس من التحصيل وهجر للعلم.[2]، وهذا ملمح تربوي هامّ جدا، لا سيما إذا استقرأنا واقع مدارسنا التعليميّة وما تُعانيه من تسرّب مدرسي ورسوب للمتعلمين، قد يُظنّ معه أن ذلك لنقص قدرة أو ذكاء من المتعلّم، وما هو كذلك، بل هو غفلة من المعلّم عن مواهب المتعلمين، يُضاف إلى ذلك البرامج التعليمية الكثيفة جدا، والتي جعلت أبناءنا وتلاميذنا ينفرون من الدراسة ويرونها شبحا، ويفرحون بمواسم العطل والإجازات لأن فيها فُسحة من برامج أثقلت كاهلهم، لذا وجب إعادة النظر في هذه البرامج والعمل على إصلاحها، إصلاحا للناشئة واستثمارا للطاقات والكفاءات التي توشك أن توأد.

---

[1] انظر: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 228 بتصرف.

[2] المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق ج 02، ص 348 بتصرف.

– التدرج في التعليم: والبدء بالموضوعات الهامة والأفكار الرئيسية لتكوين صورة عامة عن الموضوع مع عدم الإطالة بين الدرس والذي يليه حتى لا يؤدي هذا إلى الانقطاع والنسيان مع ضرورة الربط بين الدروس والمواضيع.[1]

ثانيا:من أعلام الفكر التربوي المعاصرين

توطئة:

أسهم مجموعة من العلماء المعاصرين في بلورة الفكر التربوي في الإسلام، وحاولوا إتمام المشروع الذي بذر بذرته محمد ابن سحنون وغيره، منطلقين في ذلك من واقعهم وعصرهم محاولة منهم للإجابة على التساؤلات المثارة في واقعهم الراهن، واستجابة لمختلف التحديات، فبذلوا جهودا مُعتبرة حاولوا من خلالها أن يُقدموا مشروعا تربويا للناشئة، يُمكنه أن يُسهم في مواجهات مختلف التحديات، من غزو فكري وعولمة واستعمار واستشراق واتجاهات حداثية ودعوات تغريبية، ومن أبرز أولئك الأعلام نذكر: محمد عبده، عبد الحميد بن باديس، حسن البنا، الطاهر بن عاشور، بديع الزمان النورسي، مالك بن نبي، وسنحاول أن نقف عند كل علم من هؤلاء، مع الأخذ بعين الاعتبار الأسبقية الزمانية.

1.محمد عبده وآراؤه التربوية (1849 – 1905 م):

1.1– ترجمته:

ترجم له الزركلي في أعلامه ترجمة وافية، ومما جاء فيها:محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر ونشأ في محلة نصر بالبحيرة وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا

[1] المقدمة، ابن خلدون، مرجع سابق ج 02، ص 347 بتصرف.

سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن 3 أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة 1299هـ (1881م)، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة 1888م وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة 1899م. واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة 1905م، ودفن في القاهرة.[1]

2.1- مؤلفاته:

ترك الإمام محمد عبده مجموعة مؤلفات بثّ من خلالها آراءه التربوية والإصلاحية، ومنها:

- تفسير القرآن الكريم، لم يتمه، وإنما أتمه تلميذه رشيد رضا في تفسيره المنار، إذ يقول في مقدمة تفسيره أنه التقى بالشيخ محمد عبده بالقاهرة واقترح عليه: "أن يكتب تفسيرا للقرآن ينفخ فيه من روحه التي وجدنا روحها ونورها في مقالات العروة الوثقى الاجتماعية العامة."[2]

- رسالة التوحيد، وفي مقدمة محمد عبده على هذه الرسالة بيان لدواعي التأليف، تتضمن ملمحا تربويا أشرنا إليه من قبل مع عبد الرحمن بن خلدون، إذ كان تأليف الرسالة في بيروت أين كان مدرسا لعلم التوحيد بالمدرسة السلطانية، "رأيت أن المختصرات في هذا الفن ربما لا تأتى على الغرض من إفادة التلامذة والمطولات تعلو على أفهامهم، والمتوسطات ألفت لزمن غير زمانهم فرأيت من الأليق أن أملى عليهم ما هو أمسّ بحالهم."[3]

- رسالة الواردات في نظرات المتكلمين والصوفية: وقد طبع الكتاب بمطبعة المنار المصريّة سنة 1925م، وطبع ضمنه العقيدة المحمديّة، برعاية تلميذه رشيد رضا، ودواعي تأليف هاته الرسالة بيّنه محمد عبده في مقدمة رسالته، ملخّصه أنه اطلع على علوم الحقائق- التصوف- وأجال فيها خاطره،

---

[1] الأعلام الزركلي، مرجع سابق، ج 06، ص 252.

[2] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990، ج 01، ص 12.

[3] رسالة التوحيد، محمد عبده، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص 03.

وكان إذا سأل غيره عنها أجيبَ بأن الاشتغال بها حرام، وتفكّر في سبب ذلك فوجد سببه قاعدة (من جهل شيئا عاداه).[1]

ومن مؤلفاته الأخرى نذكر: حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية – شرح نهج البلاغة – شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني – الإسلام والرد على منتقديه – الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية .

3.1– ملامح الفكر التربوي عند محمد عبده: يتجلّى الفكر التربوي عند محمد عبده من خلال آثاره التي خلّفها وضمنها آراءه التربوية، والتييُمكن استلهام بعض ملامحها وخصائصها، ومنها:

– شمولية التربية لمناحي حياة الإنسان: وقد خصص الدكتور محمد عمارة – رحمه الله– في جمعه ودراسته للأعمال الكاملة لمحمد عبده مبحثا خاصّا تحدّث فيه عن آراء الأستاذ الإمام التربوية، لخّص خصائصها ومزاياها بقوله: "نجد أن الرجل كان صاحب نظرة مثالية، غير واقعيّة إلى هذا الحقل من حقول الإصلاح، فهو عندما اعتقد أن التربية هي العصا السحريّة التي تغيّر كلّ شيء، وتبدّل كلّ سلبيّ فتجعله إيجابيا، وتعدّل كلّ منقوص فتجعله كاملا، وتُطلق كلّ مقيّد فتجعله متحررا ... فليست تكفي التربية لوجود حياة أسريّة سعيدة ومستقرّة، إذ لا بدّ من حلّ المشاكل الاجتماعية والاقتصاديّة والتشريعيّة التي تطحن الأسرة وتُلقي في طريق سعادتها واستقرارها بالأشواك والعقابات."[2]

يُعتبر محمد عبده أحد أبرز رواد التجديد والإصلاح في القرن 19 وأبرز أعلام الاتجاه التحرري الذي تزعمه جمال الدين الأفغاني، وكان من دعاة الجامعة الإسلامية.

– تعليم كافّة طبقات المجتمع: بما في ذلك أهل الصنائع والحرف، ويُعلمون مبادىء القراءة والكتابة وشيء من الحساب، لينتفعوا بها في معاملاتهم ثم ينصرفون إلى مهنهم وأعمالهم التجارية،

---

[1] انظر: الواردات في نظرات المتكلمين والصوفية، تقديم رشيد رضا، مطبعة المنار، 1925م، ص 02.

[2] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ، ط 01، 1993، ج 01، ص 155.

ويعلل محمد عبده موقفه هذا تعليلا لطيفا بقوله: "فهؤلاء يهم الدولة منهم أن يكونوا في قيادة الطاعة، إن جاذبتهم أرواحهم سلّموها، وإن استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير ساخطين ولا متكرّهين، ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ إلى قلوبهم."[1]

– **العناية بالمختصرات في التعليم الديني**: وهي رؤية قدّمها محمد عبده لإصلاح التعليم العُثماني، حيث دعا إلى وضع مختصرات للمتعلمين تكون غير مخلّة بالقواعد والأُصول وغير مطوّلة، في كلّ من العقائد والفقه والتاريخ مع حذف ما في العقائد من خلاف دائر بين الفرق، والاستدلال بالأدلة القريبة من المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية، وبيان بعض شبه النصارى وما بيننا وبينهم من خلاف، ومقصد ذلك سدّ الثغرات لدعاة التبشير والتنصير، أما الفقه فيستحسن وضع مختصر يُوضّح فيه الحلال والحرام والأخلاق الطيبة والرديئة، وفي التاريخ يُستحسن وضع مختصر في سيرة النبي ﷺ وصحابته.[2]

– **التربية هي اللبنة الأساسية لبناء الإنسان**: تعتبر التربية ركيزة في فكر محمد عبده، إذ هي تربة ببناء الإنسان: "إن الإنسان لا يكون إنسانا حقيقيا إلا بالتربية، وليست هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحكم والتعاليم، وهي عبارة عن السعادة الحقيقية، تعلم الإنسان الصدق والأمانة ومحبّة نفسه، فإذا تربّى أحبّ نفسه لأجل أن يحبّ غيره، وأحب غيره لأجل أن يُحبّ نفسه."[3]

---

[1] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 81.

[2] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 82.

[3] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 168.

– **العناية بتعليم المرأة:** نادى محمد عبده بتكوين جمعية نسائية وظيفتها إقامة مدارس لتعليم البنات، واعتبر إهمال تعليم المرأة إهانة: "ترك البنات يفترسهنّ الجهل وتستهويهن الغباوة من الجُرم العظيم."[1]

ويستطرد محمد عبده متحدّثا عن بعض السلوكيات في الأسرة المسلمة ضاربا أمثلة عن سوء الأخلاق التي تورّث للأبناء، ولا تُلقي لها النساء بالا، وهي داء فتّاك يُمر العداوة بين الأبناء، ويورث قبيح الأخلاق وسيء الأفعال:

"فتأملوا في فظاعة الأخلاق التي يشبّ عليها وأبناء وبنات العامة من الأمة، ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة إلا بالتربية الكاملة الشاملة للأبناء والبنات، وإن النساء الجاهلات والرجال الجاهلين لا يمكن أن تتكون من بينهما أمة ولا جمعية."[2]

واعتبر فقر العقول أشد أنواع الفقر ، فدعوته للعناية بالتربية لأنه كان يعرف أن لها ثمارا تجنيها الأمم من غراس تغرسه اليوم وتقوم على تنميته السنين الطوال.

– **مساهمة الأغنياء في إنشاء المدارس:** دعا محمد عبده الأغنياء إلى وجوب بذل المال لبناء المدارس ونشر العلم، حتى تعم التربية في البلاد، وتنبت جراثيم العقل والإدراك وتنمو روح الحق والإصلاح وتتهذب النفوس، ويصوّر لنا محمد عبده حال الفقراء وهم يتوجهون رفقة أبنائهم إلى دائرة المعارف سائلين لهم أن يتصدقوا عليهم بقبول أبنائهم في التعليم مجانا مُعتذرين بفقرهم.

ويصوغ محمد عبده من لسان حالهم خطابا للأغنياء بقوله: "ما حيلتنا ؟! ... يقولون لنا: إن بين ظهرانيكم من أبناء وطنكم أغنياء في وسعهم إنشاء مدارس مجانية للفقراء.آه، وأسفاه!! نعم..إن

---

[1] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 169.

[2] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 170.

أبناء وطننا في وُسعهم القيام بهذا العمل، وبأحسن منه، ولكن مصر لا يوجد فيها محبون للإنسانية وأخص من بينهم محبّي الإنسانية المستنيرين."[1]

– **إصلاح مناهج التعليم بالأزهر**: أدخل محمد عبده مجموعة من الإصلاحات على الأزهر، ووضع خطة للإصلاح حدد فيها مدة الدراسة والإجازات والعطل، ووضع نظاما للتدريس وأدخل نظام الامتحانات السنوية، وطالب بإلغاء الكتب القديمة والشروح العميقة والحواشي واستبدالها بما يتوافق ومدارك الطلاب ومتطلبات العصر، وأدخل جملة من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة والاجتماع والتاريخ.

ولقد كان مشروع إصلاح الأزهر هاجسا يراود محمد عبده دائما، ويُحدثنا في رسائله عن مشروعه لإصلاح التعليم في الأزهر وحواره مع الشيخ محمد الأنبابي[2]، شيخ الأزهر في ذلك الوقت الذي لم يُوافق على مشروعه، وتعليق محمد عبده بقوله: "إن بقاء الأزهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال، فهو إمّا أن يعمّر وإمّا أن يتمّ خرابه، وإنني أبذل جهد المستطيع في عمرانه، فإن دفعتني الصوارف إلى اليأس من إصلاحه، فإنني لا أيأس من الإصلاح الإسلامي، بل أترك الحكومة وأختار أفرادا من المستعدّين فأربيهم على طريقة التصوف التي رُبيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمة الإسلام، ثمّ أؤلف كتابا في بيان حقيقة الأزهر أمثّل فيه حقيقة أهله وعقولهم ومبلغ علمهم وتأثيرهم في الوجود وانشره باللغة العربية ولغة افرنجيّة، حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتى من أهله."[3]

---

[1] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 184. وقد حافظت على وجود علامات الترقيم في النصّ كما هي دون تغيير أو حذف.

[2] الأَنبَابي محمد بن محمد بن حسين الأنبابي، شمس الدين: فقيه شافعيّ. مولده ووفاته في القاهرة (= 1824 – 1896 م). تعلم في الأزهر، وولي شياخته مرتين. وكان يتجر بالأقمشة. وأصيب بشلل قبل وفاته بسنتين. له رسائل وحواش كثيرة، منها: حاشية على رسالة الصبان في البيان– تقرير على حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 07، ص 75.

[3] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ج 03، ص 193.

وقد وجدت دعوة ومشروع محمد عبده معارضة شرسة من شيوخ الأزهر والقائمين عليه في ذلك الوقت ومنهم سليم البشري الذي طلب محمد عبده بمقاضاته لأنه لا ينفذ قرارات الأزهر، ورغم هذا ظلّ محمد عبده متمسّكا برأيه، فكان كمؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه، إلا أن محمد عبده أعلن عن عزمه وإرادته ونيته وقصده: "ها أنا ذا كما تروني وحيدا ليس لي من الأساتذة من يساعدني ولا من دعاة الخير من ينصرني، أريد أن أعلم في هذا الجامع شيئا نافعا بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى التي هي أضرّ من كتبكم القديمة المؤلفة في القرون الوسطى، ولكن هل أجد من يساعدني في ذلك ؟ وإن لم أجد، فهل أفلح فيه وحدي ؟؟."[1]

وفي سنة 1895م نجح محمد عبده بعد إصرار كبير في تأسيس مجلس إدارة الجامع الأزهر والذي تألف من ستتة أعضاء، كان محمد عبده أحدهم، وأثمرت جهوده الإصلاحية على مستوى الجامع الأزهر فيما يلي:

- تنظيم مرتبات الأساتذة بالأزهر وزيادتها.
- منح كسوة التشريف لمن يستحقها من العلماء.
- تخصيص ميزانية مالية للمجاورين بالأزهر، مع إصلاح المساكن بها ومدها بالماء والأثاث.
- تأسيس مكاتب إدارية لمساعدة شيخ الأزهر.
- تأسيس لجنة من ثلاثين عالما لدراسة المناهج المقررة بالأزهر.
- إدخال مواد الحساب والجبر وتاريخ الإسلام والإنشاء وآداب اللغة العربية والهندسة وتقويم البلدان ضمن المواد المقررة.
- إصلاح المكتبة وإصلاح طرق التدريس وإعادة تجديدها والنظر فيها.

[1] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المرجع نفسُه، ج 03، ص 201.

- العناية بالتعليم العالي على غرار التعليم الثانوي والابتدائي، لأن التعليم العالي في نظر محمد عبده كفيل بإصلاح البقية.[1]

– الدعوة إلى إصلاح أساليب اللغة العربية: وذلك في مجال المخاطبات والمراسلات والمكاتبات، كما طالب بتعليم اللغة الأجنبية لخدمة الأمة والدفاع عن مصالحها وقد دعا إلى تعليم اللغة الفرنسية.

2.عبد الحميد بن باديس وملامح فكره التربوي (1889م – 1940م)

1.2– ترجمته:

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر من بدء قيامها سنة 1931م إلى وفاته، ولد في قسنطينة سنة 1889م، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو 15 مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. سنة 1940م، له تفسير القرآن الكريم، اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ونشر في الجزائر، وترك دروسا وخطبا ومكاتبات جمعت في كتاب (آثار ابن باديس) في 4 مجلدات من تحقيق الأستاذ الدكتور عمار طالبي.[2]

2.2– ملامح فكره التربوي:

---

[1] الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، علي المحافظة، مرجع سابق، ص 86. وانظر عن المواد التي تقرر تدريسها بالأزهر وإضافتها في: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المرجع نفسُه، ج 03، ص 198.

[2] انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 03، ص289. وانظر مقدمة عمار طالبي على آثار ابن باديس، آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، جمع وتحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط 01، 1968، ج 01، ص 72.

تعتبر التربية فكرة مركزية في جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاحية، فقد اتخذها وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي، لأن الأهداف التربوية عنده تشمل ذلك كله، وهذا أيضا له صلة وطيدة بالمنظومة القيميّة والأخلاقية النابعة من الداخل باعتبارها وسيلة تطهير.[1]

وقد تناول الأستاذ الدكتور مصطفى حميداتوا[2] الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس.

في كتابه الموسوم بِـ"عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية"، وذكر في كتابه لفتة منهجية مهمّة متعلقة بالفكر التربوي عند ابن باديس، ومما جاء فيها:

"على الرغم من أن عبد الحميد بن باديس اهتم بالتربية والتعليم اهتماما كبيرا، إلا أنه لم يفرد هذا الموضوع بتأليف خاص، لكن المتصفح لآثاره المتناثرة في الصحافة الإصلاحية آنذاك، يخرج بصورة واضحة عن حالة التعليم في زمنه."[3]

---

[1] آثار عبد الحميد بن باديس، عبد الحميد باديس تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط 01، 1968، ج 01، ص 99 وما بعدها بتصرّف.

[2] أ.د. مصطفى حميداتو، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الوادي-الجزائر حاليا، من مواليد : 03 جانفي 1956م بالوادي له بحوث ودراسات عدّة، نال درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية إسلام آباد بباكستان سنة 1997م، ونال درجة الدكتوراه = =من جامعة البنجاب ، لاهور بباكستان سنة 2001م، ومدير مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، له عدّة مؤلفات منها: الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية قطر 1997- المدخل إلى علوم الحديث الوادي 2005- منهج نقد الحديث عند ابن عبد البر مصر 2007- تلخيص المقال في نقد الحديث وعلل الرجال مصر 2008- إضافة إلى عدد من البحوث والمقالات في المجلات الدولية والوطنية. للغطلاع على سيرة الباحث انظر الرابط: https://www.univ-eloued.dz/images/2019/ISI/04022019/cv/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89%20%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%AA%D9%88.pdf

[3] عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، كتاب الأمة، قطر، العدد: 57، السنة 17، محرم 1418هـ، ص 107.

وعلى هذا الأساس تُستخرج آراء ابن باديس التربوية والتعليمية من خلال آثاره التي خلّفها سواء أعماله التي جمعها عمار طالبي أو كتابه في التفسير" مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" أو كتابه في الحديث "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"، وقد كانت رؤية ابن باديس التربوية والتعليمية ضرورة فرضتها الإكراهات الواقعية المتمثلة في السياسة الاستعمارية التي فرضت قوانين جائرة على المجتمع الجزائري تهدف إلى تجهيل أبناء الوطن وفصلهم عن لغتهم ودينهم وتاريخهم، ويمكن تلخيص هذه الإجراءات فيما يلي:

- منع التعليم الشرعي باستثناء الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم.
- عدم التعرض لتفسير القرآن الكريم خاصة الآيات التي تحرّض على الدفاع عن الوطن وردّ العدوان.
- شطب التاريخ الجزائري والتاريخ العربي الإسلامي من المناهج الدراسية.
- إلغاء مقرر الأدب سائر فنونه وعصوره.
- فرض التعليم باللغة الفرنسية.[1]

وهذه السياسة الاستعمارية ترتكز على محاربة التربية والتعليم، لأنها كانت تهدف من ورائها إلى: "تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية، ومقاومة الشريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج."[2]

وانطلاقا من هذا تبرز رؤية ابن باديس التربوية من خلال الأسس التالية:

– عنايته بالعلم والتعليم: أولى ابن باديس العلم والتعليم مكانة كبيرة ووجه عنايته لنشره معتبرا إياه السبيل الوحيد لسعادة الإنسان في الدارين، وهذا ما يتجلى في حديثه عن العلم ووجوب طلبه

---

[1] انظر: مقال عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، إعداد: فهمي توفيق محمد مقبل، المنشور في مجلة الدرعية، السنة 25، مارس 2003، ص 255 وما بعدها بتصرف.

[2] انظر مقدمة عمار طالبي على آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 01، ص 49.

وتحصيله مع الاستدلال بالآيات والأحاديث الداعية لذلك.[1]، ومن نماذج حثّ ابن باديس على طلب العلم: "فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله وأحاديث رسوله ما يصحح عقده ويزكي نفسه ويقوّم عمله، وليطبق ما يسمعه على نفسه وليجاهد في تنفيذه على ظاهره وباطنه، وليداوم على هذا حتى يبلغ إلى ما قدر له من كمال فيه فيرجع وهو قد صار قدوة لغيره، في حاله، وسلوكه."[2]

وفي مجالس التذكير يشيد ابن باديس بالعلم ومكانته فهو القسطاس المستقيم لإصلاح السلوكات وتصحيح الاعتقادات، وقد عقد بابا سماه: (العلم وحده الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقادات)، ومما جاء فيه: "سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً: يستقيم باستقامته ويعوجُّ باعوجاجه، ويثمر بإثماره، ويعقم بعقمه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره."[3]

ويذهب ابن باديس إلى أن العلم هو وحده حياة القلوب وإمام العمل، والعمل تابع له، فهو وحده الإمام المتبع في الاعتقادات والأقوال والأفعال، والداخل على العبادة والعمل من غير علم لا يُؤمن عليه من الضلال والفساد والاختلال.[4]

– الدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم وبرامجه:دعا عبد الحميد بن باديس إلى إصلاح مناهج التعليم، ومن تجليات هذه الدعوة دعوته للعودة إلى التعليم النبوي، وذلك لأن المناهج التي كانت مقررة للطلاب في زمنه أهملت التعاليم النبوية الخالدة.[5]

---

[1] عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، مرجع سابق، ص 108- 109 بتصرف.

[2] آثار عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ج 01، ص 497.

[3] تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 01، 1995، ص 102.

[4] نقلا عن: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، مرجع سابق، ص 111.

[5] نقلا عن: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، المرجع نفسه، ص 134.

أما برنامج التعليم الإصلاحي في حياة ابن باديس، فقد قرر الشيخ سنة 1933م تدريس المواد التالية: القرآن والحديث-التجويد-الفقه الإسلامي-العقائد الدينية-الآداب والأخلاق-اللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وبلاغة- الفنون العقلية من منطق وحساب، وفي سنة 1936م أضاف الشيخ المواد التالية: الفرائض- المواعظ الدينية- أصول الدين – الإنشاء- المحفوظات والأناشيد- الجغرافيا- التاريخ الإسلامي، أما الكتب المقررة فمن بين ما اقترحه نذكر: موطأ الإمام مالك- رسالة ابن أبي زيد القيرواني- متن ابن عاشر- السلم المنورق في علم المنطق للأخضري- ديوان المتنبي، وغيرها.[1]

وقد حاول ابن باديس نقل تجربته الإصلاحية في التربية والتعليم إلى المعاهد الدولية، فقد أرسل مُقترح مشروع إصلاحي إلى جامع الزيتونة بتونس يقترح فيه تدريس المواد السابقة التي اقترح تدريسها بالجزائر، وبعث باقتراح إلى لجنة وضع مناهج الإصلاح التي شكلها الباي لسنة 1931م، مع الأخذ بعين الاعتبار القسم الخاص بالقضاء والفتوى نظرا لأهميته فاقترح أن: "يحتوي على التوسع في فقه المذهب ثم الفقه العام، ودراسة آيات وأحاديث الأحكام، وعلم التوثيق، والتوسع في علم الحساب وعلم الفرائض، والإطلاع على مدارك المذاهب، حتى يكون الطلبة فقهاء إسلاميين ينظرون- على حدِّ تعبيره- إلى الدنيا من مرآة الإسلام الواسعة، لا من عين المذاهب الضيقة."[2]

وهي رؤية إصلاحية وتربوية تنبيء عن رؤية متبصرة أراد ابن باديس من خلالها إعداد ناشئة يُسهمون في رسم صورة حيّة للإسلام الجامع بين عالميْ الغيب والشهادة الداعي إلى البناء والعمران في مختلف مناحي الحياة.

- العناية بتعليم المرأة:

كانت جهود ابن باديس التعليمية في بدايتها موجهة لفئات المجتمع الذكورية من الصغار والكبار، فاهتم بتعليم الصغار وفئات العاملين من الشباب، لكنه تأمل ولاحظ أن هناك فئة من المجتمع قد تمّ

---

[1] انظر: حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة ماجستير ، من إعداد: علي علواش، إشراف: أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، سنة 1983- 1984، ص 97- 98 بتصرف.

[2] آثار عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ج 01، ص 113.

إهمالها وهي المرأة، لكنه واجه تحديا كبيرا في ذلك الوقت متمثلا فيصعوبة إقناع الآباء بتدريس بناتهن والسماح لهن بارتياد المدرسة، وهذا ما اضطره للقيام بنشاط صحافي توعوي يهدف إلى إبراز دور المرأة في الإسهام في ترقية المجتمع والنهوض به، وأدرك ابن باديس أن سبب عزوف الآباء عن تدريس بناتهن راجع إلى أمرين: أحدهما جهل الآباء، وثانيهما: جمود العلماء، وهو ما حداه إلى العمل على تهيئة النفوس والعقول للاقتناع بفكرة تعليم المرأة، ورأى أن مفتاح ذلك هو الدخول عبر عقل الرجل أولا وتوجيهه وتعليمه حقوق المرأة.[1]

وقد أدرك ابن باديس ما للمرأة من وظيفة اجتماعية تربوية عظيمة، لذلك دعا إلى إنقاذها مما هي فيه من الجهالة ودعا إلى تكوينها على وفق قيم العفة وحسن تدبير المنزل، والنفقة والشفقة على الأولاد، وحسن تربيتهم، كما أنه رأى أن جهالة المرأة يتقاسمها الأولياء والآباء.[2]

وفي مجالس التذكير تناول ابن باديس مسألة ولاية المرأة الملك وذكر المنع مع بيانه لتعليل ذلك، باستحضار طبيعة خِلْقتها ورقّة طبعها ناظرا نظرة مقاصدية تستحضر الوظيفة الحقّة التي خُلقت من أجلها المرأة والمتمثلة في إعداد الناشئة:

"من ناحية خلقتها النفسية، فقد أعطيت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية. وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها سواها وهي القيام على مملكة البيت، وتدبير شؤونه، وحفظ النسل، بالاعتناء بالحمل والولادة وتربية الأولاد."[3]

وقد نشر في مجلة الشهاب في ذلك الوقت خطابا توعويا للرجال بمكانة المرأة وضرورة العناية بها، ويصوغ لنا عبد الحميد بن باديس فيصورة فنيّة تصورية صورة الرجل المسلم الجزائري بلباسه التقليدي بملابسه التقليديّة وهو يخاطب من يدعوه لتعليم المرأة: "أنتم تفكرون في تعليم المرأة، فلمن تعلمونها؟

---

[1] انظر: حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص 137- 138 بتصرف.

[2] آثار عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ج 01، ص 118.

[3] تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مرجع سابق، ص 273.

لي أنا الجاهل؟ ومن يعلمها؟ أنا الجاهل كيف أترك نفسي وأعلمها؟ أنتم تفكرون في نزع حجابها وخلطها بالمجتمعات ألا تخافون عليها غيرتي فلأقاتلنّ عليها ألا تخافون إغارتي فلأضايقنهن ولترين مني كلّ أنواع التعدّي والأذى."[1]

ومما يؤكد أن تعليم المرأة عند عبد الحميد ابن باديس كان همّه بالليل والنهار مبادرته لإقرار مجانية تعليم المرأة، أما البنون فلا يدفع حقوق التعليم إلا لمن كان قادرا على ذلك.[2]

3.حسن البنا وملامح فكره التربوي (1906 م – 1949 م)

1.3– ترجمته:

حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا، مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية)سنة 1906، وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقل في بعض البلدان متعرفا إلى أهلها، مختبرا طباعهم وعاداتهم. من أبرز ما طرحه كون الإسلام (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون)، وأنشأ بالقاهرة جريدة (الإخوان المسلمين) يومية، فكانت منبره الكتابي إلى جانب منابره الخطابية. وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من مؤلفاته مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية)، توفي سنة 1949 م.[3]

2.3– ملامح فكره التربوي:

يُمكن تجلية ملامح الفكر التربوي عند الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين في النقاط التالية التي تعتبر معالم بارزة في مشروعه الإصلاحي:

– العناية بمناهج التعليم:

---

[1] نقلا عن :حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص 138.

[2] عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، مرجع سابق، ص 152.

[3] انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج 02، ص 184.

ارتكز الفكر التربوي لجماعة الإخوان المسلمين على المنهجية التعليمية القائمة على محاولة تأليف منهج يمكن تدريسه في المدارس العامة في العالم الإسلامي ليحل محل المناهج الدراسية الحديثة. فقد اعتبر حسن البنا أن المناهج الحديثة في المدارس الإسلامية ناقصة ولا تستحق أن تكون مناهج تعليمية تهدف إلى غرس الثقافة والتراث الإسلاميين في الأجيال، ولهذا السبب ركزت الجماعة على المناهج، ومن جملة جهودهم في هذا الباب العمل على أسلمة المناهج، مع إمكانية تدريس اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية، طالما الهدف هو العمل على تربية الإنسان الصالح العابد لله.[1]

– الإصلاح الاجتماعي وتنقية مظاهر الفساد الأخلاقي:

وقفت الجماعة موقفاً عدائياً ضد التغريب، ورفضت الثقافة الغربية المخالفة للإسلام، لذلك طالبت الجماعة بإغلاق صالات الرقص والملاهي الليلية، والرقابة على الأفلام والروايات الفاسقة.[2] ومن الوسائل التربوية التي اعتمدها حسن البنا وجماعته في التغيير الاجتماعي تأسيس الجمعيات ذات الطابع الإصلاحي، وهو ما بينه في كتابه مذكرات الدعوة والداعية، منها جمعية الأخلاق الأدبية والتي أسهم في تأسيسها محمد أفندي عبد الخالق الذي اقترح على طلابه بالتعليم الثانوي تأسيسها، وكان من بين مبادئها وأسسها وضع نظام الغرامة (التغريم) لمن ساء خلُقه أو أساء لغيره أو فرّط في صلاته، وتمّ جمع هذه الأموال وإنفاقها على الفقراء والمحتاجين والمرضى.[3]

---

[1] انظر: مقال الفكر التربوي عند الإخوان المسلمين، إعداد محمد الزويد، والمنشور على الموقع التالي:
https://basaer-online.com/2016/12/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%8A-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-1-3/

[2] انظر: مقال الفكر التربوي عند الإخوان المسلمين، إعداد محمد الزويد، المرجع نفسُه.

[3] انظر هذا في: مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، تقديم: عبد الله العقيل + حسن البنا، مركز الإعلام العربي، ط 01، 2011، ص 24 وما بعدها بتصرف.

ومن الجمعيات ذات الطابع الإصلاحي أيضا تأسيس جمعية منع المحرمات، وكان دور القائمين عليها إرشاد وتوجيه الذي يرتكب محرما كترك الصلاة أو لبس الذهب للرجال أو الإفطار في رمضان.[1]

إن هذا الأسلوب التربوي الذي اعتمده الشيخ حسن البنا يؤكد صلته بعمق المجتمع ومعرفة سلوكيات أفراده والتعرّف على مختلف المظاهر الاجتماعية والاقتراب مما يعانيه الناس والنزول إلى واقعهم، وهو ما يُصطلح عليه في الخطاب الدعوي المعاصر (فقه الواقع)، وهي ميزة من شأنها أن تسهم في تجديد الخطاب الديني وصياغته بما يتوافق وواقع الناس من أجل حلّ مشكلاتهم والإجابة على تساؤلاتهم.

وفي مقدمة عبد الله العقيل لكتاب مذكرات الدعوة والداعية أشاد بهاته الخاصيّة الدعوية التي ميّزت دعوة حسن البنا بقوله: "لقد كان الإمام البنا متصلا بالجماهير الشعبية على مختلف طبقاتها، يشرح لها حقيقة الإسلام في المقاهي والأندية والمساجد والمدارس، ويسلط الأضواء على واقع الأمة الإسلامية ومشكلاتها، ويطرح الحلول لمعضلاتها على هدي الإسلام الذي فيه صلاح أمرها في الدنيا والآخرة."[2]

– الإحياء الإيماني الشامل:

من الأسس التربوية التي قامت عليها دعوة حسن البنا ومنهجه التربوي، الشمولية الإصلاحية والتربوية لمناحي الحياة كلها، وطرْقُ كلّ ما يخصّ الإنسان المسلم في معاشه ومعاده، وهو ما نجده في آثار حسن البنا، ومن نماذجه قول الإمام في رسائله:

"إسلامنا اسمع يا أخي: دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها (إسلامية) و لهذه للكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، فإنا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة

---

[1] انظر: مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 27.

[2] انظر مقدمة عبد الله العقيل: مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 08.

جميعا، و يفتي في كل شأن منها و يضع له نظاما محكما دقيقا، و لا يقف مكتوفا أمام المشكلات الحيوية و النظم التي لا بد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، و حصروا أنفسهم و أفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور."[1]

وعلى هذا الأساس كانت دعوة الإمام حسن البنا دعوة شمولية، تغلغلت في الأفراد والأسر والمجتمعات وارتقت إلى إصلاح المنظومات السياسية، وهي وجهة نظر فرضتها تحديات ذلك العصر لا سيما الغزو الفكري والمدّ العلماني والدراسات والأبحاث الاستشراقية (المغرضة منها) والتي حاول أصحابها أن يجعلوا من الإسلام جبّة وعمامة ومسجدا وعصا.

– التربية الروحية والدعوة إلى تجديد التصوف:

شكلت التربية الروحية محورا هاما في دعوة حسن البنا، وفي مذكرات الدعوة والداعية يبين الإمام حسن مكانة التزكية والتربية الروحية في إعداد الأفراد وتطهير النفوس ومداواتها، وهو المشروع الذي حمل رايته أهل التصوف، يقول البنا موضحا الدور الإيجابي له: "وهذا القسم من علوم التصوف واسمه علوم التربية والسلوك، لا شكّ أنه من لبّ الإسلام وصميمه، ولا شكّ أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها والطبّ لها والرقيّ بها ... ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حدّ السلوك والتربية، ولو وقفت عند هذا الحدّ لكان خيرا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأذواق والمواجد ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه وفتحت الثغرات الواسعة لكلّ زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد."[2]

وهذه الرؤية النقدية للإمام حسن البنا رؤية إيجابية وموضوعية بدليل أنه أثنى على الدور الفعل الذي تقوم به الطرق الصوفية في نشر رسالة الإسلام الصافي في آسيا وافريقيا وتقديم خطاب إيماني

---

[1] رسائل الإمام حسن البنا، كتاب على الانترنت، بدون طبعة، بدون تاريخ، انظر: قاعدة (إسلامنا).

[2] مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 36.

وروحي للناس عجز غيرهم عن إيصاله[1]، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان لحسن البنا حظ من التصوف من خلال انتمائه للطريقة الحصافية سنة 1920، ولم يتجاوز الرابعة عشر من عمره، وكانت دمنهور مقرا للطريقة الحصافية.[2]

– تقرير التعليم الديني في المعاهد والمدارس المصرية:

من ملامح الفكر التربوي عند الإمام حسن البنا دعوته إلى إدخال العلوم الدينية في الأنظمة التعليمية على مختلف مستوياتها، وهو ما سجّله في كتابه مذكرات الدعوة والداعية أين يحدثنا عن مطالب الإخوان بتقرير ذلك سنة 1935م، وكان على رأس وزارة التعليم آنذاك نسيم باشا، وفي دائرة المعارف نجيب الهلالي، وعلى مشيخة الأزهر الشيخ المراغي[3].

وتمّ تشكيل وفد برئاسة محمد عبد الله درّاز[4]، وبعد مشاوة وسعي تم تقديم العريضة إلى نجيب الهلالي باشا وتمت المةافقة على بعض المطالب وأدخل التعليم الديني في المناهج وتمّ إقرار مادة حفظ القرآن التي يصفها حسن البنا باعتبارها خطوة.[5]

ومن جهة أخرى قاومت الجماعة تيارات الإلحاد والجمعيات التي تحارب الحجاب، وتنشر الفساد بحجة تحرير المرأة، كما حذرت الجماعة من زيادة التأكيد على التاريخ الفرعوني على حساب التاريخ الإسلامي. وحذرت أيضا من دراسة تاريخ الحضارات القديمة دون الإشارة إلى الاختلافات بينها وبين

---

1 انظر: ثناء حسن البنا على جهود الطرق الصوفية، مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 37.

2 انظر: مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 38 بتصرف.

[3] أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة سنة 1952م. له كتب منها: الحسبة في الإسلام – الوجيز في أصول الفقه – تفسير المراغي – علوم البلاغة. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 01، ص 258 بتصرف.

[4] محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، توفي سنة 1958م. له كتب منها: الدين – دستور الأخلاق في القرآن الكريم. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 06، ص 246. وانظر: سيرته العلمية في مقدمة كتابه: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط 10، 1998، ص 07 وما بعدها بتصرف.

[5] انظر سعي حسن البنا في سبيل تقرير التعليم الديني في مناهج التعليم في: مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص 312.

الإسلام مثل وثنيتها واستخدامها للشعوذة والدجل وغير ذلك، كما اقترحت تعديل عدد ساعات كل مادة وإضافة ساعات أكبر للمواد التي تتعلق بالدين والتاريخ الإسلامي[1].

4.بديع الزمان النورسي وملامح فكره التربوي (1876م – 1960م)

1.4– ترجمته:

بديع الزمان سعيد النورسي، ولد بقرية نورس التابعة لناحية اسباريت بقضاء خيزان من أعمال ولاية بتليس في شرقي الأناضول سنة 1293هـ الموافق لِسنة 1876م من أبوين كرديين. بتوجيهات أخيه الكبير الملا عبد الله، فكان أول ما أقبل على طلبه هو حفظ القرآن الكريم. تلقّى تعليمه الأول بمدرسة الملا محمد أفندي في كتاب قرية "طاغ" ذات الطابع الديني على الطريقة النقشبندية. ثم توجه إلى قرية "برمس" التي كان يدرس بها الشيخ "سيد نور محمد"، وفي سنة 1907م توجه إلى استنبول والتقى بالشيخ بخيت المطيعي وتنبأ قائلا: "إن أوروبا حاملة بالإسلام وستلده يوما"، فقال له: ما تقول في الدولة العثمانية؟ فقال: إنها حاملة بدولة أوروبائية وستلدها يوما، وفي أواخر سنة1910م سافر سعيد القديم إلى الشام ألقى خطبة بالجامع الأموي عُرفت بالخطبة الشامية، لخّص النورسي فيها أمراض الأمة في ستّ نقاط.

بعدها أسس جامعة الزهراء للوقوف ضد المؤامرة على القرآن الكريم، كما وقف النورسي ضدّ علمانية أتاتورك التي كانت مشروعا غربيا لزحزحة الثوابت والقيم والأصول، بعدها ترك النورسي السياسة وتوجّه كليّا للتأليف والاشتغال على مشروعه كليات رسائل النور، وهو ما جرّ عليه تهما عديدة أدخلته السجن كل مرة، فقضى حياته بين السجون والمحاكم إلى غاية وفاته سنة 1960. من أبرز ما خلفه كليات رسائل النور (09 مجلدات) ومضمونها بيان للحقائق الإيمانية ودفاع عن المعجزات الأحمدية ونقد للفلسفة الغربية والحضارة الماديّة. وقد ترجمت الرسائل إلى أغلب لغات العالم.[2]

2.4– ملامح الفكر التربوي عند بديع الزمان النورسي:

---

[1] انظر: مقال الفكر التربوي عند الإخوان المسلمين، إعداد محمد الزويد، موقع سابق.

[2] انظر: سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، استنبول، ط 01، 1998م، ص 35 وما بعدها بتصرف. وانظر حواره مع الشيخ بخيت المطيعي في: سيرة ذاتية، المرجع نفسُه، ص 84 بتصرف.

تنتمي مدرسة الإمام النورسي ومشروعه الإصلاحي إلى اتجّاه الإحياء الإيماني الشامل، وهو اتجاه يقوم على فكرة محورية يتفق عليها أصحاب الاتجاه وينطلقون منها وهي المسألة الإيمانية، فهي المقصد، إذ يرى أصحاب هذا المشروع وعلى رأسهم الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بإمكانية إحداث التغيير وتحقيق النهضة عن طريق إحياء بذرة الإيمان في النفوس والقلوب، وذلك من خلال التحقق بالحقائق الإيمانية (الجانب العملي والوظيفي)، وتقديم وعرض الدرس العقدي (الجانب النظري المنهجي) بما يتوافق وروح العصر مع اعتماد منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة وتثبيتها في القلوب لكونه خطاب يجمع بين العقل والقلب ولاعتماده البساطة والبعد عن التعقيد. ويُمكن أن نبسط التجربة النورية الإصلاحية ونتلمّس معالمها التربوية من خلال جانبين: أولهما الجانب النظري، وثانيهما الجانب العملي الوظيفي.

أ– الجانب النظري: ونقصد به الرؤية والمنهج الذي قدّمه بديع الزمان النورسي في عرض الدرس العقدي، وهو ما يدعونا للوقوف عند ملامح عصر النورسي، فقد كانت الفترة التي عاش فيها (1876 – 1960) فترة مؤامرة على الإسلام كعقيدة وشريعة، سخرت لها كل الوسائل من أجل إبعاد المسلم وقطع صلته بربه وكتابه وتاريخه، فكانت الدائرة الإيمانية مهددة بالمسخ، يشهد لهذا الوفد الذي جاء إلى النورسي وسألوه قائلين: "عرّفنا بخالقنا، فإن المدرسين لا يذكرون الله لنا ".[1]

إضافة إلى المشروع التغريبي العلماني الذي كانت تعدّه الدوائر الأوروبية، واطلاع النورسي على ما كان يُحاك بهدف فصل المسلم عن مرجعيته الدينية وهذا ما تزامن مع إعلان وزير المستعمرات البريطاني وليام جلادستون عن المشروع التغريبي: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم، فلنسع إلى نزعه منهم."[2]

لم تكن التحديات الخارجية الأجنبية وحدها معول هدم وتغريب، بل كانت حركة مصطفى كمال أتاتورك وجمعية الاتحاد والترقي معاول هدم داخلية أيضا، ومن مؤشرات ذلك الإجراءات التي اتخذها مصطفى كمال أتاتورك فقد أزيلت كلمة الله من المدارس والثانويات ،كما ألغيت الخلافة الإسلامية

---

[1] انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استنبول، ط 3، 1993 م، ص 175.

[2] سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 65.

في هذه الفترة سنة 1924م، ونزعت المادة التي تنصّ على أن الإسلام دين الدولة من الدستور، وأصبح الآذان باللغة التركية، ومنع الحجاب، إلى غيرها من الإجراءات.[1]

لم يقف مصطفى كمال عند حدود إعلان سقوط الخلافة، بل سعى بكل طاقته إلى تغيير رموز الهوية الإسلامية لتركيا وتجسدت محاولاته في إلغاء الرابطة الإسلامية وإحياء القومية الطورانية، وإلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية، وإحلال القانون السويسري محلها، وإلغاء الحرف العربي، وإقامة الآذان بالتركية، وإلغاء الأوقاف الإسلامية وإعلان السفور محل الحجاب والقبعة محل الطربوش، وإحلال النظام الدستوري العربي محل النظام الإسلامي.[2]

إن هذه الإجراءات التغريبية كانت دافعا للنورسي لإدراك مكمن الخطر وآليات مواجهته، حيث علم أن الحقائق الإيمانية مهددة بالزوال، وعليه وجب العمل على إثباتها في القلوب وإحيائها في النفوس، وبيان أبعادها التربوية الوظيفية، لذا أعاد النورسي بعبقريته صياغة الدرس العقدي صياغة تتوافق وروح العصر من خلال الدعوة إلى العودة إلى الينابيع المعرفية المتمثلة في الوحي، وعليه فالنورسي رأى أن جهود المتكلمين على قدرها وقيمتها كانت خاصة غير عامة، من حيث منهج وطريقة العرض بعكس القرآن الكريم، وفي هذا يقول: "... إن علماء الكلام وإن تتلمذوا على القرآن الكريم وألفوا ألوف الكتب، إلا أنهم لترجيحهم العقل على النقل كالمعتزلة عجزوا أن يوضحوا ما تفيده عشر آيات من القرآن الكريم وتثبته إثباتا قاطعا، بما يورث القناعة والاطمئنان."[3]

من هذا المنطلق دعا النورسي من حيث المنهج – الجانب النظري – إلى استثمار الخبرة الكلامية والعمل على تجديدها، بكونها قاصرة وناقصة إذا ما قورنت بالمنهج القرآني وقد شبه النورسي منهج المتكلمين كالذي يحفر عيونا في سفوح الجبل، ثم يضع أنابيب لها ليأتي بالماء أما منهج القرآن الكريم، فكل آية منه كعصا موسى تستطيع أن تحفر الماء أين ضربت[4]، ثم إن مختلف مسائل العقيدة التي تناولها النورسي، كانت بعيدة كل البعد عن المقدمات الكلامية والصياغات العقلية لأن النورسي نظر

---

[1] سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 65.

[2] من مقال الدكتور أحمد محمد سالم بعنوان: "دور النورسي في مواجهة علمانية أتاتورك " المنشور في مجلة الوعي الإسلامي"، العدد: 415، السنة 37 ربيع الأول 1421هـ، يوليو 2000م، ص 06 بتصرف.

[3] الكلمات، مرجع سابق، ص 514.

[4] الكلمات، المرجع نفسه، ص 514.

إلى هاته المسائل بعين عصره، وقد حمل على عاتقه مشروع إنقاذ الإيمان في وسط ظلمات الإلحاد والتغريب، وعليه رأى نفسه مضطرا إلى صياغة المسائل العقدية بأسلوب بعيد عن المطارحات الكلامية وهذا هو التجديد في منهج عرض العقيدة.

ب– الجانب التربوي الوظيفي: تتجلى ملامح الفكر التربوي عند النورسي بتركيزه على فاعلية المسألة الإيمانية في حياة الإنسان وشموليته لمختلف المؤسسات، أفرادا وأسرا ومجتمعات ودول.

– التربية الفردية: وذلك باتباع المسلك التالي:

– تربية النفس على مشرب القرآن الكريم والسنة النبوية بإقامة الفرائض والتوبة عن السيئات، وفي الكلمات: "نعم، إن الشاب إذا دفع ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة من يومه في السجن إلى إقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه التي دفَعَتْه إلى السجن، وتجنب الخطايا والذنوب مثلما يجنّبه السجن إياها ... فإنه سيعود بفوائد جمة إلى حياته وإلى مستقبله وإلى بلاده وإلى أمته وإلى أحبّائه وأقاربه، فضلاً عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم بدلاً من هذا الذي لا يدوم خمس عشرة سنة."[1]

– ترك عداوة الناس ومعاداة ما في القلب وإصلاح الطبع والنفس والهوى، فعداوة المؤمنين تعتبر ظلما مبينا. بين النورسي هذه الأمراض وأفاض في ذكرها، كالعجب والغرور والكبرياء والغفلة والجشع والطمع وحب الدنيا والخوف من الموت، وعالجها كما يعالج الأخصائي النفسي مرضاه، وهو في منهجه يشخص الحالة ثم يقدم العلاج اللازم لذلك: "إن أعظم إحسان أعدّه في هذا الزمان وأجلّ وظيفة، هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة. فاحذر يا أخي من الأنانية والغرور وتجنب من كل ما يؤدي إليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان نكران الذات، ونبذ الغرور والأنانية، وهذا هو الألزم لهم، لأن أعظم خطر يتأتى في هذا العصر، إنما يتأتي من الأنانية والسمعة، فعلى كل فرد من أفراد أهل الحق والحقيقة ان ينظر إلى تقصيرات نفسه ويتهمها دائماً ويتحلى بالتواضع التام."[2]

---

[1] الكلمات، مرجع سابق، ص 125.

[2] سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 368.

– ترويض اللسان عن الصوم عن الكذب والغيبة وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله والتسبيح والتحميد والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار وغض البصر عن المحرمات من أجل تحقيق التوجه القلبي إلى الله تعالى، وفي الكلمات يتناول النورسي الآية القرآنية: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(الحجرات:12) " ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية – التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة – وما بال مدنيتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم. ماذا أصابت إنسانيتكم ؟ حتى أصبحتم تفترسون صديقكم الحميم. أليس بكم رأفة ببني جنسكم، أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم، حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشاً قاسياً ، أيملك عقلاً من يعض عضواً من جسمه ؟ أوليس هو بمجنون؟."[1]

– **التربية الأسرية:** والمسلك المتبع في ذلك يقوم على:

– تفعيل الإيمان بالله واليوم الآخر داخل الأسرة، فانعدام الإيمان يجعل البيت ينقلب إلى جحيم. فالإيمان مولد لعلاقات القربى والرأفة والرحمة والمحبة. والتحذير من اتباع المدنية الغربية: "أما حياة الأسرة التي تتربى في أحضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانهيار والفساد، حيث تبنى العلاقة فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق أبدي."[2]

– تربية الأبناء تربية إيمانية وتحويل البيوت إلى مدرسة نورية لتلقي العلم والعرفان.

– العناية برسالة الحجاب التي ألفها النورسي ردا على الدعاوى التي دعت إلى تحرير المرأة وانسلاخها من عقيدتها وشريعتها وعفتها وطهارتها بحجة التقدم، مع تذكير المرأة بوظيفتها الأساسية المتمثّلة في تربية النشىء، وفي كتاب اللمعات تناول النورسي مسألة الحجاب مستندا إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(الأحزاب:59)، وتوقف عند دلالتها وحكمها في إطار الرد على دعوات المدنية والتغريب، فقال: "هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب، بينما تذهب المدنية الزائفة إلى

---

[1] الكلمات، مرجع سابق، ص 440.

[2] اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر للنشر، ط 1، 1993 م، ص 311.

خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمراً فطرياً للنساء، بل تعده أسراً وقيداً لهن، إن الحجاب أمر فطري للنساء، تقتضيه فطرتهن، لأن النساء جُبلْن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن الذين يؤثرنهم على أنفسهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنب جفائهم واستثقالهم."[1]

– **التربية الاجتماعية**: والمسلك المتبع في ذلك يقوم على:

– تأسيس أماكن تربوية وتعليمية أطلق عليها مدارس النور وظيفتها مُدارسة رسائل النور والحقائق الإيمانية والقرآنية: "واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تليّن قلوبَهم وتجعلها تجنح إلى جانبها. فتوسعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث أنهم بدأوا بتقديرها والإعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها، فأكسبتنا هذه النتيجة منافع جمة."[2]

– التركيز على التربية الأخلاقية التي تمنحها حكمة القرآن الكريم فمن ثمراتها أنها تجعل الحق قوة استناد بدلا من القوة ورضا الله بدلا من المنفعة ودستور التعاون بدلا من الصراع ورابطة الدين بدلا من الرابطة القومية، فالتعاون على ما يحقق مصلحة الجماعة والفرد أمر محمود ما لم يمس بالدين، أو يناقض الإيمان والتوحيد، ويعد المكتوب الثاني والعشرون مبحثا مهما في هذا الباب– الأخوة–، إذ تطرق فيه النورسي لبعض معاني الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(سورة الحجرات:10)، أشار النورسي إلى بعض الأمراض التي تهدم هذه العلاقة كالعداء والبغضاء والحسد, وقدم بعض العلاجات أو ما اصطلح عليه بالدساتير، ولهذا يحذر النورسي أهل الإيمان من هذا الخطر المحدق بهم ويدعوهم للتكاتف: "وإن شئت أن تعدد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام، فهم ابتداء من أهل الضلالة والإلحاد، وانتهاء إلى عالم الكفر ومصائب الدنيا وأحوالها المضطربة جميعها، فهي دوائر متداخلة تبلغ السبعين دائرة،كلها تريد أن تصيبكم بسوء، وجميعها خانقة عليكم وحريصة على الانتقام منكم، فليس لكم

---

[1] اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، مرجع سابق، ص 299– 300.

[2] سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 383.

أمام جميع أولئك الأعداء، إلا ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، ألا وهي الأخوة الإسلامية ...".[1]

– وحدة الأمة الإسلامية: من أبرز ما يجلي دعوة النورسي لوحدة أبناء الأمة الإسلامية الخطبة الشامية، ألقاها في أواخر سنة 1910م في سفره إلى الشام حيث ألقى خطبة بالجامع الأموي، لخّص فيها النورسي أمراض الأمة الإسلامية في ست نقاط رئيسية هي:

1- حياة اليأس الذي يجده فينا أسبابه وبعثه.

2- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

3- حب العداوة.

4- الجهل بالروابط التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

5- الاستبداد.

6- شيوع المنفعة الشخصية.[2]

– نقد مسالك المدنية الغربية:

يرى النورسي أن المدنية الغربية بمناهجها وأنظمتها عاجزة عن استيعاب الإنسان المعاصر، حيث بيّن في جواب عن سؤال وجّه إليه مفاده: لم ترفض الشّريعة هذه المدينة ؟! وبيان النّورسي أنّ المدينة الحاضرة تأسّست على خمسة أسس سلبيّة وهي:

1- نقطة استنادها القوّة وهذه شأنها الاعتداء.

2- هدفها وقصدها المنفعة وهذه شأنها التّزاحم .

3- دستورها في الحياة الجدال والصّراع وهذه شأنها التّنازع .

---

[1] المكتوبات، بديع الزمان النورسي، تر: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر، استنبول، ط 1، 1992 م، ص 349.

[2] سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 115- 116.

4- الرّابطة التي تربط المجموعات البشريّة هي العنصريّة والقوميّة السّلبيّة وهذه شأنها التّصادم.
5- إسقاط الإنسان من درجة الملائكيّة إلى درجة الحيوانيّة الكلبيّة وهذا فيه مسخ معنوي للإنسان.[1]
وعلى هذا الأساس فالحضارة التي تقوم على أسس ومرتكزات نفعية ومادية لا يمكنها أن تصلح لقيادة الإنسانية، ولا يمكن بأي حال أن نعتمد اعتمادا كليّا على نُظمها وتشريعاتها لتأسيس فكر تربوي، بل لا بد من العودة إلى الينابيع والأصول المرجعيّة الممثلة في تعاليم الوحي ابتداء وسيرة سيدنا محمد ﷺ. مع محاولة الاستفادة مما تم التوصل إليه والعمل على الإسهام فيه بشرط الانطلاق من المرجعية الدينية ابتداء وانتهاء.

5. محمد الطاهر بن عاشور (1879 – 1973 م)

1.5- ترجمته:

محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. ولد بتونس سنة 1879م ودرس بها. عين سنة 1932 شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- التحرير والتنوير في تفسير القرآن- الوقف وآثاره في الإسلام- أصول الإنشاء والخطابة- موجز البلاغة- ديوان بشار بن برد دراسة وتحقيقا ... وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 1973م.[2]

2.5- ملامح فكره التربوي من خلال كتابه أليس الصبح بقريب:

هناك كتاب آخر بالغ الأهمية لم يُشر إليه الزركلي، وهو كتاب الطاهر بن عاشور " أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي – دراسة تاريخية وآراء إصلاحية"، وتمت طباعة الكتاب بدار سحنون بتونس 2006 م، وقدّم للكتاب عبد المالك بن عاشور، وإن كان الكتاب دراسة تاريخية للتعليم في

[1] انظر: النورسي، سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 139 بتصرّف. وانظر أيضًا مقارنة النّورسي بين مدنيّة القرآن الكريم والمدينة الحاضرة في: النورسي، المكتوبات، مرجع سابق، ص 606 وما بعدها بتصرّف.

[2] انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج 06، ص 174.

العالم الإسلامي فقد ضمنه بعض آرائه التربوية، وسنحاول إبراز بعض القضايا التربوية التي أثارها ابن عاشور، كنماذج نرسم من خلالها ملامح الفكر التربوي عند الرجل.

1.ضرورة إصلاح التعليم:

في مقدمة كتاب أليس الصبح بقريب أبان الشيخ الطاهر بن عاشور عن دواعي تأليفه لهذا السفر بقوله: "لقد كان حَدا بي حادي الآمال وأملى عليَّ ضميري، من عام واحد وعشرين وثلاث مئة وألف، للتَّفكير في طرق إصلاح تعليمنا العربيِّ والإسلاميِّ، الذي أشعرَتني مدةُ مزاولته، متعلِّماً ومعلِّماً، بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النِّطاق، فعقدت العزمَ على تحرير كتاب في الدَّعوة إلى ذلك وبيان أسبابه ... وها أنذا متقدم إلى خوض بحر أرى هول أمواجه قد حاد بعقول كثير من ذوي الألباب فولوا عنه مدبرين، وتكلموا في إصلاحات نافعة من مصالح المسلمين، لكنها كلها كانت متوقفة على هذا المقصد الجليل المغفول عنه مبدأ إصلاح التعليم."[1]

2.أهمية التعليم في بناء الإنسان والعمران عند ابن عاشور:

طرح ابن عاشور في مستهلّ كتابه تساؤلا مفاده :" لماذا نسعى إلى إصلاح التعليم؟"، وأجاب عنه في نقاط مركزية يمكن تلخيصها كالآتي:

– تحقيق استقامة الأشغال والأعمال والوصول إلى مقام الرضا وعدم السخط برؤية الآخرين يتدرجون إلى المعالي، لا سيما إذا أخذنا بأسباب العلم والبحث.

– تحقيق السعادة النفسية التي تعود على المتعلم بما يراه من ازدهار وطنه وأمته وأبناء مجتمعه والمساهمة في إعداد قادة للأمة في دينها ودنياها.

– تحقيق التميز بين الأمم، فالتفاضل يكون بقدر ما تحققه الأمة من صنائع وإبداع وبقدر احتفائها بالعلم والعلماء يكون لها السبق والمكانة، فالتعليم يسعى إلى إنشاء أرقى الناس.[2]

---

[1] أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، تقديم عبد المالك بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس+ دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 2006، ص 07.

[2] أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 09 وما بعدها بتصرف.

3.الدعوة إلى العناية باللسان العربي:

في كتابه أليس الصبح بقريب يتحدث ابن عاشور عن سبيل الإصلاح، حيث يكون ضمور اللغة ضعيفا مرة وشديدا أخرى، فأما لغات الأمم التي لا حظ لها إلا الخطاب بلغاتها ولم تدون بها العلوم فهي تعفو آثارها متى انقضت آثار أمتها، إلا ما يُثبته التاريخ أو تحفظه الآثار، وأما لغو أمة سمت مداركها، وارتقت لغتها، وأودعت من دقائق الحكمة والشعر والخطابة ما جعلها مثالا للمتكلمين، فتأخر أمتها لا يُوجب موتها ولكن يُوجب مرضها بمقدار ما ينعدم من التخاطب بها ويصعب من التفاهم بها ... والكتب القديمة العهد أكبر مساعد على دوام حياة هاته اللغة في الجملة، ولذلك لا تندرس بل تتضاءل ويغشى عليها كما كانت لغة اليونان واللاتينية والفارسية، وإذا انضمّ إلى اعتبارها العلمي الاعتبار الديني رسخ قدمها في الوجود وقاومت أدوات الفناء."[1]

وهذا النص إبراز لمكانة اللغة باعتبارها وعاء حضاريا وسجلا تاريخيا لحياة الأمة ومجدها وسرّ بقائها، وما إحالة الطاهر بن عاشور لنا للعودة إلى كتب الأقدمين إلا صمّام أمان للحفاظ عليها من الزوال، وكتب الأقدمين هي كتب الأدب العربي ودوواوين الشعر في عهديه الجاهلي والإسلامي.

ويقدم لنا ابن عاشور آليات الحفاظ على اللسان العربي، ويمكن تلخيصه فيما يلي (نظرا لطول النص):

– مخالطة أهل اللغة مع الاحتراز من الدخيل.

– توظيف اللغة العربية وجعلها لغة تخاطب داخل الأسر والمؤسسات، فلا يُمكن أن ينصلح لسان الطفل وهو يسمع أمه وأباه يخاطبونه بلسان لا يكاد يُبين.

– إنشاء مدارس خاصّة لتعليم اللغة العربية للصبيان يُشرف عليها أساتذة مختصون ذوي علم وثيق باللغة، مع تلقينهم أشعار العرب وخطبهم ومعاني القرآن الكريم وتجنب السقط من الكلام.

---

[1] أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسُه، ص 187.

– إقامة جمعية متكونة من جلة العلماء لإحياء المفردات.[1]

4.العناية بالمرأة وحقوقها:

تُعتبر المرأة حجر الزاوية في المشروع التربوي، لذا كان لها نصيب حضور كبير جدا في فكر الشيخ الطاهر بن عاشور، ومن نماذج دعوته للعناية بالمرأة ما ذكره في سياق تفسيره التحرير والتنوير لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228)، قال في معناها:

" ودين الإسلام حري بالعناية بإصلاح شأن المرأة، وكيف لا وهي نصف النوع الإنساني، والمربية الأولى، التي تفيض التربية السالكة إلى النفوس قبل غيرها، والتي تصادف عقولا لم تمسها وسائل الشر، وقلوبا لم تنفذ إليها خراطيم الشيطان. فإذا كانت تلك التربية خيرا، وصدقا، وصوابا، وحقا، كانت أول ما ينتقش في تلك الجواهر الكريمة، وأسبق ما يمتزج بتلك الفطر السليمة، فهيأت لأمثالها، من خواطر الخير، منزلا رحبا، ولم تغادر لأغيارها من الشرور كرامة ولا حبا ودين الإسلام دين تشريع ونظام، فلذلك جاء بإصلاح حال المرأة، ورفع شأنها لتتهيأ الأمة الداخلة تحت حكم الإسلام، إلى الارتقاء وسيادة العالم."[2]

---

[1] أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص 188 بتصرف.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج 02، ص 400-401.

خاتمة:

في ختام هذا العمل نخلص إلى مجموعة من النتائج نُحاول من خلالها الوقوف على خصائص المنهج التربوي عند المسلمين، ومن أبرزها:

1. اختلاف مفهوم النظرية التربوية في الإسلام عن نظيرتها في الحضارات الأخرى، تأكيد على اختلاف المرجعيات الدينية والبناء الاجتماعي.

2. المنهج التربوي في الإسلام هو المنهج الذي يجمع بين عالمي الغيب والشهادة ويسعى لتحقيق السعادة للناشة في المعاش والمعاد، وهو المفهوم الذي صاغه ماجد عرسان الكيلاني.

3. المنهج التربوي في الإسلام مُستغرق لأبعاد الإنسان المختلفة، البيولوجية والنفسية والروحيّة والذهنية، فهو ليس منهجا أحاديا يُعوّل فيه على المعطى النفسي فقط، بل هو مزيج من الرؤى والتصورات والمفاهيم.

4.استثمار علماء الفكر التربوي للرؤى التربوية الأجنبية مع نقد الرؤى غير المتوافقة مع المرجعية الدينية، وهو ما نجده في مؤلفات ابن مسكويه الذي رفض مسلك الرهبنة رغم استفادته من التراث اليوناني، وكذا نقد ماجد عرسان الكيلاني للمفاهيم الغربية التي تستند للفكر الديني المسيحي.

5.اتفاق علماء الفكر التربوي في الإسلام، القدماء والمعاصرون على الاستمداد من الوحي، وهو موقف يؤكد مدى استيعابية الوحي للإنسان والزمان والمكان.

6.المضمون التكاملي بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهو ما يؤكده ثراء وتنوع طبيعة الفكر التربوي الذي نجد فيه حضورا للدرس الفقهي المالكي كما هو مع محمد بن سحنون، أو الدرس الفلسفي كما هو مع ابن سينا في رسالته، أو الدرس الصوفي كما هو مع أبي حامد الغزالي، أو الارتكاز إلى الموروث اللغوي باعتباره وعاء ثقافيا كما هو عند شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور، أو الارتكاز إلى الدرس الكلامي العقدي كما هو عند بديع الزمان سعيد النورسي.

7. تطور الفكر التربوي في الإسلام بمراحله الأربعة (التأسيس-العهد الذهبي-عصر الانحطاط-العصر الحاضر) يعكس ضمنيا تطور الفكر في تعامله مع الوحي فهما وتنزيلا، ويؤكد من جهة أخرى أن الاقتراب من عصر الفطرة(عصر النبوة والنور) هو الذي أسهم في تطور الفكر التربوي أين اعتنى علماء المنهج التربوي بالقواعد والأصول، استلهاما من قول النبي ﷺ في حديث جبريل «هَذَا

جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»، وما هذا الانحدار الذي يشهده العقل المسلم اليوم إلا دليل على الارتكاز على المنتج الأجنبي واستنكاف الذات عن قراءة ذاتها من جهة، والاتكاس في الفطرة من جهة أخرى.

8.المنهج التربوي في الإسلام وجهود العلماء فيه تأكيد على مُسايرة الوحي للإنسان واستيعاب زمنه ومكانه والإسهام في حلّ تساؤلاته واهتماماته، والعمل على تطوير المنهج التربوي قراءة إضافية واعية للوحي فهما وتنزيلا.

9.المنهج التربوي في الإسلام مشروع مؤسساتي تتشارك فيه مختلف القوى الفاعلة في المجتمع أفرادا وأسرا وجماعات وهيئات وجمعيات وجامعات وحكومات، مما يؤكد على خاصية الشمولية والاستغراق للتربية في الإسلام.

10-ثنائية التربية والتعليم في الإسلام وضرورتهما الحضارية في إعداد الناشئة، فالتربية غرس وركيزة وتخلية، والتعليم بناء وتحلية، وهو ما يُحيلنا إلى البناء المنهجي للإنسان الذي يجمع بين الظاهر والباطن والعقل والوجدان والغيب والشهادة.

11.عالمية رسالة الإسلام، وهو ما يؤكده التنوع الجغرافي لعلماء الفكر التربوي في الإسلام، من بلاد فارس والمشرق والغرب الإسلامي.

12.الرؤية التجديدية لعلماء الفكر التربوي في الإسلام، وهو ما تؤكده الرؤية النقدية للمناهج التعليمية ومحاولتهم إصلاحها وتجديدها، كما نجد ذلك مع ابن خلدون في مقدمته، ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس وغيرهم.

13.المضمون التوحيدي للمنهج التربوي في الإسلام، فمشروع التربية والتعليم الإسلاميان هو محاولة لبناء الإنسان والعمران وتحقيق الكمال والجمال، وهو تحقّق ضمني بالقيم الإيمانية التوحيديّة التييسعى المسلم من خلالها أن يُثبتبلسان حاله ومقاله وواقعه أنه عبد لله يسير وفق أمره ونهيه، وأجلى صورة لهذا التكليف الإلهي تحقيق العمارة في الكون والخلافة والعبودية تحقيقا للسيادة والريادة والقوة الروحية والماديّة لنيل درجة الشهود الحضاري التي تعبّدنا الله بها في كتابه.

14.المنهج التربوي في الإسلام ومضمونه القيمي حصانة راهنيّة ضد موجات الإلحاد والتغريب والعولمة والغزو الفكري.

المصادر والمراجع:(مرتبة على حروف المعجم)

1– الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، علي المحافظة، النهاية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1987.

2– آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، جمع وتحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط 01، 1968.

3– إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة ، بيروت، بدون تاريخ.

4– أخبار العلماء بأخيار الحكماء، جمال الدين القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2005.

5– آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تحقيق: حسن حُسني عبد الوهاب، تونس 1972.

6– الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، بدون تاريخ.

7– أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط 25، 2007.

8– الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002.

9– أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1995.

10– الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط 01، 1993.

11– أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، تقديم عبد المالك بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس + دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 2006.

12– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تح: حمد عبد الله القرشي، النّاشر حسين عبّاس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ.

13– تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 14، 1996.

14– التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر ، تونس، ط 1984.

15– التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، بدون تاريخ.

16– التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، ط 2005.

17– التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 1980.

18– ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق : عبد القادر الصحراوي، ط 01، 1970م.

19– تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير + مكتبة دار التراث، دمشق + بيروت، ط 02، 1985.

20– التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1983.

21– تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1995.

22– تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990.

23– تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد + بيروت، ط 01، 2011.

24– الجامع، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان، ط 02، 1403 هـ.

25– الجانب العاطفي من الإسلام، الغزالي محمد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 03، 2003 .

26– الجميل والمقدس، أنيماري شيمل، ترجمة وتحقيق: عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2008.

27– حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة ماجستير، من إعداد: علي علواش، إشراف: أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، سنة 1983 – 1984.

28– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، ط 05، بدون تاريخ.

29– حضارة العرب في الأندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

30– الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: 927هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1990.

31– دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط 10، 1998.

32– رسالة التوحيد، محمد عبده، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ ¯ . رسائل الإمام حسن البنا، كتاب على الأنترنت، بدون طبعة، بدون تاريخ.

33– رسالة ضمن «مجموع في السياسة، أبو علي بن سينا، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط 01، بدون تاريخ.

34– سرّ تأخر العرب والمسلمين، الغزالي محمد، نهضة مصر، ط 07، 2005.

35– سنن أبي داوود، أبو داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

36– سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، استنبول، ط 01، 1998 م.

37– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003.

38– شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون + كمال دسوقي، دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط 08، 1993.

39– طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق:محمود محمد الطناحي + عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 02، 1413 هـ.

40– طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، ط 01، 2006.

41– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

42– عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1418هـ.

43– فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط 01، 1927 هـ.

44– فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط 25، 1426 هـ.

45– الفكر الإسلامي في تطوره، محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1981.

46– الفكر الإسلامي تطوراته ومساراته الفكرية، دار الهادي للطباعة والنشر والوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 2001.

47– الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1995.

48– الفوز الأصغر، ابن مسكويه، طبعة بيروت، 1319هـ.

49– قصة الحضارة، وِيل ديورَانت، ترجمة: الدكتور زَكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988 م.

50– عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، كتاب الأمة، قطر، العدد: 57، السنة 17 محرم 1418 هـ.

51– عقلة المستوفز، ابن عربي، مطبوع مع إنشاء الدّوائر + التّدبيرات الإلهيّة، مطبعة بريل، ليدن، ط 1336 هـ.

52– عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1415 هـ.

53– عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة (المتوفى: 668 هـ)، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

54– الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استنبول، ط 3، 1993 م.

55– لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، ط 03، 1414هـ.

56– اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، ط 01، 1993 م.

57– مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، تقديم: عبد الله العقيل + حسن البنا، مركز الإعلام العربي، ط 01، 2011.

58– المسند الجامع، تحقيق: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1993 م.

59– مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 01، 2001.

60– المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني + مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط 1982.

61– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّـة، ط 1364 هـ.

62– المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط01 ، 2005.

63– مقال الدكتور أحمد محمد سالم بعنوان: "دور النورسي في مواجهة علمانية أتاتورك " المنشور في مجلة الوعي الإسلامي"، العدد: 415، السنة 37 ربيع الأول 1421 هـ، يوليو 2000 م.

64– مقال عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، إعداد: فهمي توفيق محمد مقبل، المنشور في مجلة الدرعية، السنة 25 مارس 2003.

65– مقال الفكر التربوي عند الإخوان المسلمين، إعداد محمد الزويد، والمنشور على الموقع التالي:
https://basaer-online.com/2016/12/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%8A-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86-

%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-1-3/-

66– المقدمة، ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، دار يعرب، دمشق، ط01، 2004.

67– المكتوبات، بديع الزمان النورسي، تر: إحسان قاسم الصالحي دار سوزلر للنشر، استنبول، ط 01، 1992 م .

68– مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، ط 2001.

69– الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 01، 1997.

70– موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط 02.

71– ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 01، 1964 .

72– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997.

73– الواردات في نظرات المتكلمين والصوفية، تقديم رشيد رضا، مطبعة المنار، 1925م.

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الصفحة
بطاقة عن المقياس وفق المقرر الوزاري	02
محتوى المادة	03
مقدمة	04
المبحث الأول: مدخل منهجي	**06**
1.مفهوم الفكر التربوي	06
1.1.مفهوم الفكر	06
2.1.مفهوم التربية	07
3.1.مفهوم الفكر التربوي	09
4.1.مفهوم المنهج التربوي	10
المبحث الثاني:الأصول المرجعية للفكر التربوي عند المسلمين	**11**
1.مبادىء المرجعية الدينية	12
2.العوامل المسهمة في إرساء الفكر التربوي عند المسلمين	18
المبحث الثالث: الفكر التربوي عند المسلمين نشأته وخصائصه	**22**
1.مراحل الفكر الإسلامي	22
2.مؤسسات التربية في الحضارة الإسلامية	35
المبحث الرابع:أعلام الفكر التربوي في الإسلام	**44**
أعلام الفكر التربوي القدامى	45
محمد بن سحنون	45
ابن مسكويه	48
ابن سينا	55
أبو حامد الغزالي	59
عبد الرحمن بن خلدون	63
أعلام الفكر التربوي المعاصرون	69

محمد عبده	69
عبد الحميد بن باديس	76
حسن البنا	82
بديع الزمان سعيد النورسي	87
محمد الطاهر بن عاشور	94
خاتمة متضمنة لخصائص الفكر التربوي	**98**
المصادر والمراجع	100
فهرس الموضوعات	106